الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم: العلوم الإنسانية**

سوريا الكبرى في عصور ما قبل التاريخ

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر

في التاريخ تخصص تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطلبة :
إسحاق غريسي
عمارة بن عمر

الأستاذ المشرف:
أ/د. محمد رشدي جراية

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. حسن معمري	أستاذ محاضر "ب"	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي
أ/د. محمد رشدي جراية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي
د. عبد الحق بالنور	أستاذ محاضر "ب"	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي

السنة الجامعية:1440-1441هـ/ 2019-2020 م

شكر وتقدير

بداية نتوجه بالشكر الجزيل إلى المولى تعالى الذي أنعم علينا بهذا وأعاننا على إنجاز هذا البحث ووفقنا فيه واليه يرجع كل الفضل .

كما نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ الدكتور **محمد رشدي جراية** الذي أفادنا بنصائحه وارشاداته القيمة وكان سنداً لنا. كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كافة الأساتذة والباحثين في قسم التاريخ، الذين أفادونا بنصائحهم وتوجيهاتهم العلمية ودعمهم المعنوي حتى نهاية هذا المسار البحثي ونسأل الله أن يبارك هذا العمل وليجعله خيراً للبحث العلمي وأن يوفقنا إلى ما فيه خيراً وصلاحنا .

الإهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين..

أهدي ثمرة جهدي إلى من أحب بسمتي وراحة لتعبي، وهو مفتاح صبري وسر هنائي

♥ أبي العزيز فتحي♥

إلى من هي أرق من النسمة وأطيب من العطر إلى سندي في الأيام والليالي

♥ أمي الغالية زهرة ♥

حفظهما الله لي

إلى من معها كبرت وعليها اعتمدت، إلى من أمسكت بيدي لأصل لأعلى المراتب أختي وحبيبة قلبي **♥ سهير♥**

إلى فرحت البيت وبرعم السعادة **♥هديل♥ ♥خليفة♥**

إلى من شاركني هذا العمل صديقي **♥عمارة بن عمر♥**

إلى كل من عرفتهم ووسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي .....

إسحاق

الإهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين..

أهدي ثمرة جهدي إلى من أحب بسمتي وراحة لتعبي، وهو مفتاح صبري وسر هنائي

♥ أبي العزيز♥

إلى من هي أرق من النسمة وأطيب من العطر إلى سندي في الأيام والليالي

♥ أمي الغالية♥

حفظهما الله لي

إلى من عليها اعتمدت، إلى من أمسكت بيدي لأصل لأعلى المراتب **♥زوجتي وحبيبة قلبي♥**

إلى فرحت البيت **♥أبنائي♥**

إلى من شاركني هذا العمل صديقي **♥ إسحاق غريسي♥**

إلى كل من عرفتهم ووسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي .....

عمارة

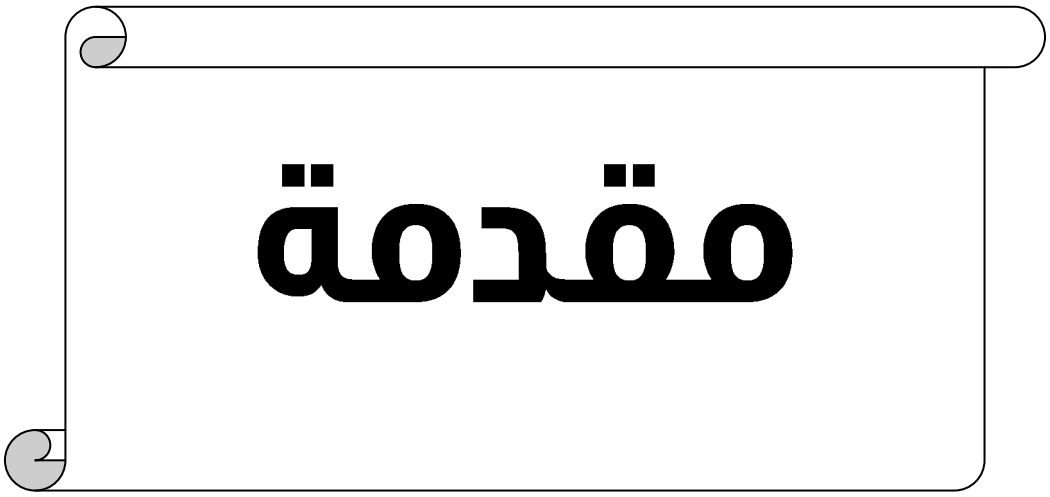
مقدمة

مقدمة:

يمثل تاريخ العصور الحجرية في بلاد سوريا الكبرى القديم دوراً هاماً وكبيراً في التاريخ الإنساني التي هي محل دراستنا حيث عاش الإنسان في هذه العصور على صيد الحيوانات وجمع النباتات الطبيعية لمدة نصف مليون سنة على الأقل أثناء مرحلة حضارة العصر الحجري القديم والمتوسط إن هذا الأسلوب الذي كان يعتمد على جمع القوت استبدل تدريجياً بأسلوب قوامه إنتاج القوت في مرحلة العصر الحجري الحديث في بداية الألف الثامن قبل الميلاد على الأقل في جنوب غرب آسيا ففي هذه المنطقة اعتباراً من فلسطين وسورية والأردن ولبنان بدأ ينموا نمواً طبيعياً في البراري، ومن نموه الطبيعي برزت بدايات الزراعة وفي هذه المنطقة أيضاً عاشت أسلاف الكلاب والماعز والأغنام والماشية والخنازير، ومن المحتمل أن تكون جميع هذه الحيوانات قد دجنت في الشرق الأوسط إن هذا التحول الثوري من الصيد إلى الزراعة وضع أسس الحضارة .

أثبتت الشواهد الأثرية المكتشفة في بلاد سوريا الكبرى أن هذه المنطقة قدمت للعالم الكثير من المعارف فمثلاً، عثر في حوض الفرات الأوسط وفي حفرة الانهدام الأفروآسيوية على أقدم القرى الزراعية في العالم، مثل جرف الأحمر، والمريبط، وأبو هريرة، وأريحا ووادي فينان، وفي مثل هذه القرى الزراعية اكتشفت أولى الفنون العالمية، مثل الرسومات الجدارية في موقع جمدة المغارة في سورية، والتماثيل الآدمية بحجم الإنسان في عين غزال في الأردن والأهم من ذلك. أن هذه المنطقة قدمت للعالم الأبجدية والتجارة البحرية فيما بعد .

هذا البحث هو إلقاء للضوء على العصور الحجرية في بلاد سوريا الكبرى وما يتخللها من حضارات بداية بالعصر الحجري القديم وصولاً إلى العصر الحجري النحاسي .

1. إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا الموضوع حول حضارات عصور ما قبل التاريخ في بلاد سوريا الكبرى وكيف تطورت هذه الحضارات من عصر إلى آخر؟

- متى كانت بدايات الاستقرار البشري في بلاد سوريا الكبرى ؟ وكيف انتقل الإنسان من حياة الترحال والقنص والجمع والالتقاط إلى حياة الاستقرار والاستئناس فالرعي والزراعة؟ وإلى أي مدى تعود الملامح الباكرة للزراعة في بلاد سوريا الكبرى ؟
- يا ترى هل استطاع ذلك الإنسان السورية في النهاية أن يمتطي حضارات حجرية راقية ؟
- هل كانت بلاد سوريا سباقة في هذه الثورة الإنتاجية والتقنية، مقارنة بالمراكز الحضارية الأخرى ؟
- وهل كانت لها مساهمة في هذه الثورة الإنتاجية الكبرى التي عرفتها البشرية ؟ وفي أي مجال كانت هذه المساهمة ؟

2. أما عن أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب الرئيسية التي دعتنا لدراسة هذا الموضوع ما يلي:

- الرغبة الشخصية في معالجة المواضيع ذات الطابع الحضاري .
- محاولة الاطلاع على أحداث العصور الحجرية في بلاد سوريا الكبرى والرغبة في تسليط الضوء على أهم النقاط في هذه العصور الحجرية .
- المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية بدراسة متواضعة .

3. خطة البحث:

حسب المادة العلمية التي تمكنا من جمعها ووفقاً للمنهج المتبع في هذه الدراسة، تم تقسيم البحث إلى فصل تمهيدي و أربعة فصول وخاتمة .

الفصل التمهيدي بعنوان أرض سوريا الكبرى، ويشتمل على مبحثين الأول خصص لتعرف على جغرافيا بلاد سوريا الكبرى وحددنا فيه السهل الساحلي وسلسلة الجبال الغربية و منطقة البقاع وسلسلة الجبال الشرقية والصحراء السورية، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى البيئة والمناخ في بلاد سوريا الكبرى، وفيه البيئة السائدة في هذه البلاد والمناخ العام .

أما فيما يخص الفصل الأول فقد تناول سوريا الكبرى في العصر الحجري القديم، ويحتوي ثلاث مباحث أبرزنا في الأول العصر الحجري القديم الأسفل أما الثاني العصر الحجري القديم الأوسط والثالث العصر الحجري القديم الأعلى وما فيهم من تقسيمات .

وكان الفصل الثاني خاصاً بسوريا الكبرى في العصر الحجري الوسيط وشمل مبحثين الأول الحضارة الكبارية والثاني الحضارة الناطوفية وهما أهم حضارات العصر الحجري الوسيط في بلاد سوريا وما أنتجته تلك الحضارات من موروث ثقافي للمنطقة .

أما عن الفصل الثالث فكان تحت عنوان سوريا الكبرى في العصر الحجر الحديث ويحتوي على مبحثين هما الحديث ما قبل الفخاري وينقسم بدوره إلى فترتين (أ)و(ب) والحديث الفخاري حيث ذكرنا فيه أهم الحضارات السائدة فيه هما حضارة حلف وحضارة العبيد .

الفصل الرابع والأخير بعنوان سوريا الكبرى في العصر الحجري النحاسي ويندرج تحته مبحثين بعنوان الحضارة الغسولية وحضارة بئر سبع فهما النموذج الممثل لهذا العصر .

وفي الأخير خاتمة وهي حوصلة الموضوع وتحوي مجموعة من النتائج

4. منهج الدراسة:

- اتبعنا في بحثنا على المنهج التحليلي الاستقرائي مستعينين بالشواهد الأثرية .
- وكذلك المنهج التاريخي الوصفي لأن الموضوع يحتاج إلى عرض بعض المناطق ووصف طبيعة جغرافيتها من تضاريس وأنهار وغيرها .

5. الصعوبات:

- قلة المراجع بالغة العربية التي تطرقت إلى هذا الموضوع
- تداخل بعض المعلومات وصعوبة فصلها
- وكذلك الظروف الصحية التي تمر بها بلادنا حالت دون تنقلنا إلى المكاتب.

6. المصادر والمراجع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على كثير من المصادر والمراجع نذكر بعض هذه المراجع:

- فليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج1وج2 استفدنا من كتابه حول أرض سوريا الكبرى وما يتخللها من تضاريس وسهول وغيرهما وكذلك بعض حضارات العصر الحجري القديم .
- وكذلك اعتمدنا على مذكرة الماجستير لمحمد رشدي جراية بعنوان الصحراء خلال العصر الحجري الحديث 6100 ق.م –1000 ق.م في العامل الذي ساعد الإنسان على تدجين الحيوان.
- كما اعتمدنا على دراسة رشيد الناضوري في كتابه المدخل في التحليل الموضعي المقارن التاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا على مضاهر الحضارة الناطوفية .
- وكذا تاريخ الشام القديم لعبد الحكيم الذنون حيث استفدنا منه المواقع الأثرية ومكان تموقعها في بلاد سوريا الكبرى .
- كما اعتمدنا على دراسة جاك كوفان، ديانات العصر الحجري الحديث وما فيه من الطقوس والعادات التي كانت سائدة في العصر الحجري الحديث، ودراسته الأخرى بعنوان الألوهية والزراعة، ثورة الرموز في العصر النيوليتي وما قدمته هذه الدراسة عن الزراعة في العصر الحجري الحديث .
- اعتمدنا عليه Helga Weippert،Palastina In Vorhellenistischer Zeit في الحضارة الكبارية وكذلك العصر الحجري النحاسي ومخلفات هذه الحضارة .
- كذلك كتاب Pliny Natural History في تضاريس بلاد سوريا وسهولها وهضابها .

الفصل التمهيدي: أرض سوريا الكبرى

المبحث الأول: جغرافيا بلاد سوريا الكبرى

المبحث الثاني: البيئة والمناخ في بلاد سوريا الكبرى

الفصل التمهيدي: أرض سوريا الكبرى

المبحث الأول: جغرافيا بلاد سوريا الكبرى

تقع سوريا بين خطي عرض 31° ،37° شمالاً وخطي طول 32° ،42° شرقاً، في غرب قارة آسيا ،وتمتد بين جبال طوروس شمالاً، وسيناء جنوباً والبحر المتوسط غربا، وبادية الشام وبلاد مابين النهرين شرقا و يلاحظ أن البارزة لسطح الإقليم السوري تناوب الأراضي المنخفضة والأراضي المرتفعة بحيث تحاذي بعضها بعضًا، وتتجه من الشمال إلى الجنوب، وهذه المنطقة تضم حالياً دول سوريا ولبنان وفلسطين والأردن[1] .

وكانت بلاد سوريا الكبرى تعرف عند سكان وادي الرافدين (أمورر) وفي العهد اليوناني أطلق عليها اسم (سوريا). وكان يعني بلاد الشام أو الشأم، اليسار أو الشمال، ويقابلها اليمين في جنوب الجزيرة العربية ويعني به اليمين أو الجنوب[2] .

ويمكن تمييز خمسة مناطق طولية به تقع بين البحر والبادية وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: السهل الساحلي

يمتد على ساحل البحر المتوسط من مصر وحتى خليج إسكندرونة (إسوس القديمة) وينحصر هذا الإقليم بين البحر و الجبل، ويلاحظ أن القسم الشمالي من هذه المنطقة و الذي يمتد من مونت كليموس إلى الكرمل توجد فيه فينيقيا ومدرجات الليفانت، أما القسم الجنوبي منه فهو يضم العديد من المدن و الثغور[3] مثل أرواد وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعكا ويقتصر السهل الساحلي على مجرد شريط ضيق عند سفح جبل لبنان لا تزيد سعته في بعض المواضع عن 6.44 كلم وتقل أحياناً حتى لا تكاد تبلغ 1.61 كلم أحياناً، وإن بلغت في القليل النادر كما هو الحال عند عسقلون 32.19 كلم ولا ترتفع الجبال ارتفاعاً تدريجياً في معظم

---

[1] أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص271 .

[2] نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج3، سورية، القاهرة، 1964، ص7 .

[3] الثغور جمع ومفردها ثغر يقصد بها منطقة الحصون التي بنية على تخوم الشام والجزيرة لصد غزوات الرووم- https://alresala2.forumegypt.net.

الأحوال بل تكاد تكون عمودية، وتكاد تلامس البحر أو تدخل فيه كما هي الحال عند مصب نهر الكلب إلى الجنوب من بيروت[1] .

ويتميز هذا السهل بخصوبته الشديدة في جميع أجزائه، وتجري فيه العديد من الأنهار القصيرة السريعة الجريان مثل نهر إبراهيم إلى الجنوب من جبيل، ونهر الكلب ونهر بيروت ونهر الليطاني بين صور وصيدا .

والساحل بكامله من أكثر السواحل استقامة في العالم، فلا يوجد فيه خليج نهري عميق أو أي خليج آخر مهم إلا في الشمال حيث خليج إسكندرونة، ومن هذه المنطقة وحتى حدود مصر يكاد لا يوجد على مساحة 708.11 كلم إلى ميناء يستحق الذكر[2] .

ويتغير المظهر الجغرافي فيما بين الكرمل ووادي لعريش والصحراء الرملية فيقل ظهور الثغور على الشاطئ الرملي حتى لا نجد سوى يافا وعسقلون وغزة ومن ورائها سهول خصبة مثل شارون وسهل شفيلة[3] .

المطلب الثاني : سلسلة الجبال الغربية .

أما المنطقة الثانية، فهي سلسلة الجبال الغربية، وهي تشرف على الساحل السوري وتبدأ بالأمانوس شمالاً، وتمتد جنوباً إلى سيناء، وأهم أجزائها جبال لبنان الغربية، وتشكل هذه المنطقة أول حاجز للمواصلات بين البحر وما يقع ورائه من الشرق ولا يمكن اختراق هذا الحاجز بصورة حقيقية إلا في الطرفين الشمالي والجنوبي في الشمال عند خليج إسكندرونة حيث الطريق بين أمانوس وسهول مابين النهرين، وفي الجنوب عند خليج السويس، الذي يتم الاتصال بواسطته مع البحر الأحمر وبلاد العرب، وماعدا ذلك فإنه لا يمكن اختراق من الحاجز الجبلي إلا في شمال طرابلس، وشرقاً عكا و حيفا[4] .

---

[1] فليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج1، تر: جورج حداد وعبد الكريم رفيق، دار الثقافة، بيروت، ص ص31-32

[2] نفسه ، ص 32.

[3] طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة (فارس الإغريق الرومان..)،ج2، حضارة وادي النيل، دار الوراق للنشر المحدود، ط1، بغداد، ص 239 .

[4] نفسه ، ص 240.

وإذا تتبعنا هذه السلسلة الجبلية من الشمال فنجدها تبدأ بمرتفعات الأمانوس وهي عبارة عن التواء فرعي يمتد بين جبال طروس التي تفصل سوريا عن آسيا الصغرى باتجاه الجنوب ليتصل بكتله الجبال السورية، وتحيط مرتفعات الأمانوس بخليج إسكندرونة فتشكل حاجزاً بين سورية وكليكية، وبارتفاع يصل إلى نحو5000 قدم عن سطح البحر وفي الطرف الجنوبي من مرتفعات الأمانوس يشق نهر العاصي هذه المرتفعات ويخترقها نحو البحر وتعبر هذه المرتفعات عدة طرق تمتد على أنطاكيا وحلب وتمر بالممر الرئيسي وهو مضيق ببيلان المعروف باسم (أبواب سورية)[1] .

وتتصل بمرتفعاته أمانوس، جنوب مصب العاصي، مرتفعات أخرى تمتد حتى تصل إلى قرب اللاذقية، وتعرف باسم جبل الأقرع الذي يرتفع نحو4500 قدم من سطح البحر ومن هناك تمتد إلى جوار اللاذقية حيث تعرف بجبال النصيرية[2]، ثم تتابع سيرها إلى النهر الكبير الجنوبي، ويشكل هذا النهر الذي ينبع من جبال النصيرية الحد الفاصل بين هذه الجبال وبين جبال لبنان، كما أنه يكون الحدود السياسية الحالية بين لبنان وسورية .

وتبلغ السلسلة الغربية ارتفاعا شبيهاً بالارتفاعات الآلبية في جبال لبنان التي تمتد من النهر الكبير حتى نهر القاسمية شمالي صور على مسافة 168.98 كلم، وتضل أعلى قمة في جبال لبنان حوالي 11024 قدما (3360)مترا عن سطح البحر وهي مسماة بالقرنة السوداء، وتقع إلى جوارها قمة نهر القضيب فهي أقل منها ارتفاعاً بحوالي مائة قدم، وتوجد في هذه القمة غابة الأرز القديمة، ويلي قمة نهر القضيب في الارتفاع جبل صنين الذي يقل عنها هو الآخر بحوالي مائة قدم، ويشرف جبل صنين على بيروت وخليج مارجرجس[3] .

وتستمر السلسلة الغربية بعد القاسمين، في هضاب ومرتفعات الجليل الأعلى وتصل ذروتها في الجرمق، شمال صفر، حيث تبلغ 3953 قدما (1300 متراً)، تقريباً وهي أعلى قمة في فلسطين، وتلي ذلك مرتفعات الجليل السفلى، ويبلغ ارتفاعها عند جبل طابور قرب الناصرة

[1] طه باقر: نفسه ، ص 140.

[2] Pliny Natural History,B ,ch. Pp 17-20

[3] فيليب حتى: المرجع السابق ،ص 41.

حوالي 1843قدما (575 متراً)، ثم تنتهي المنطقة الجبلية بسهل يعرف باسم مرج بن عامر الذي يفصل بين الجليل شمالاً و السامرة ويهودا جنوباً[1] .

وتتمثل تلال السامرة التي تتخللها الأودية بجبل عيبال في الشمال، وبجبل جرزيم وهو جبل السامريين المقدس، وتنقل من هذه التلال بصورة تدريجية إلى هضبة اليهودية الوعرة، ثم تنحدر هضبة اليهودية بتموجات عريضة نحو بئر سبع، وأطلق العبرانيون على هذه المنطقة الجنوبية القاحلة اسم النقب وتعني الأرض الملفوحة[2] وعلى ذلك فإن فلسطين تعتبر امتداداً من الناحية الجغرافية للبنان، فالسهل الساحلي يمتد حتى يتصل بسهل شارون الذي يقع مابين الكرمل وجنوب يافا حتى يصل بساحل فلسطين، وأما المنطقة الجبلية فتستمر مرتفعاتها، وإن كانت أقل ارتفاعا بشكل عام من مرتفعات لبنان، حتى تنحدر إلى منطقة يهوذا فتتحول إلى أرض متموجة تستمر إلى بئر سبع حيث منطقة النقب[3] .

المطلب الثالث: منطقة البقاع .

أما المنطقة الثالثة فهي منطقة البقاع[4] التي تقع بين سلسلة جبال لبنان الغربية والشرقية وتعرف هذه المنطقة باسم المنخفض السوري، وهي عبارة عن منخفض كبير يتراوح عرضه بين ستة وعشرة أميال ويمتد من جنوب نهر ينا إلى خليج العقبة، ويروي هذا المنخفض في جزئه العلوي نهر العاصي، أما في جنوب حيث ينبع العاصي، فيوجد السهل المعروف بسورية البقاع، و به وديانه تقطعه إلى البحر في اتجاه صور وسهل الجليل متبعة نهر الليطاني[5] .

ويستمر الوادي جنوبا حتى وادي الأردن، الذي يبلغ طوله نحو خمسة وستين ميلاً، ويتراوح عرضه بين 20 و22 كلم ويعتبر نهر الأردن والعاصي أكبر مجريين مائيين في

---

[1] فيليب حتى: المرجع السابق، ص40 .

[2] نفسه ، ص 41 .

[3] إبراهيم معاوية، (فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد)،الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، 1990، ص17 .

[4] البقاع جمع بقعة أو بقيع أي متجمع المياه الراكدة، وقد ورد ذكره في المصادر اليونانية والرومانية باسم (Coele-Syria)أي سوريا الغور ولكنه كان يدخل ضمنه في الأزمان اليونانية والرومانية مناطق أخرى مثل حوران وشرقي الأردن.

[5] طه باقر:المرجع السابق، ص244.

سورية، وذلك باستثناء نهر الفرات الذي لا يعتبر سورياً من حيث منبعه أو من حيث مجراه الكامل، فهو يمر في سورية الشمالية فقط. ويعد نهر الليطاني متمما لمجرى نهر العاصي، وهو ينعطف غرباً في مجراه السفلي ويمر خلال طبقة من الحجر الجيري ويعرف باسم القاسمية حيث يصب في البحر مابين صور وصيدا. ونظراً لجريان نهري العاصي و الليطاني في سهل البقاع فإن الأراضي الواقعة حولهما تعتبر من أوسع أراضي الري وأحسنها في سورية، كما تشكل تربتها أنسب تربة صالحة للإنتاج الزراعي، وإن استلزم ذلك من الإنسان بذل الكثير من الجهد نظراً لانخفاض مجرى نهر العاصي بدرجة جعلت استخدام مياهه بسهولة أمراً متعذراً[1] .

وقد تعرضت المنطقة الواقعة بين جبال لبنان الشرقية والغربية على مر العصور للزلازل والبراكين بسبب التفاوت الضخم بين انخفاض بعض أجزائها تحت مستوى سطح البحر ووجود الجبال الشديدة الارتفاع على جانبيها، ومن هذه الزلازل التي تعرضت لها سورية، زلازل أنطاكيا خلال القرون الستة الأولى الميلادية[2] .

المطلب الرابع: سلسلة الجبال الشرقية

تشكل السلسلة الشرقية المنطقة الرابعة في تضاريس سورية، وتبدأ من جنوب حمص وتسير موازية للجبال الغربية على طول واحد وارتفاع واحد تقريباً، ثم تنحدر من حرمون (جبل الشيخ) نحو هضبة حوران ومنطقة التلال في الجولان. حيث تستمر في شرق الأردن في تلال جلعاد وهضبة مؤاب المرتفعة، وتنتهي في جبل سعير (أووم) جنوبي البحر الميت.

ويقسم مجرى بردى ووادية سلسلة جبال لبنان الشرقية إلى قسمين منحدرين، قسم شمالي مقفر من الحياة، وجنوبي حيث يوجد جبل حرمون وهو من أعلى قمم سورية إذ يصل ارتفاعه 9383 قدماً تقريباً (حوالي 2860 مترا) وتكثر في منحدره الغربي القرى[3] .

وينبع نهر بردى في مرتفعات وادي الزبداني ويتجه نحو الشرق حيث يروي جزءاً كبيراً من الأراضي السورية، ويتفرع بعد الغوطة إلى خمسة جداول تروي شوارع دمشق ومنازلها ويمتاز

[1] أحمد أمين: المرجع السابق، ص 275.

[2] طه باقر:المرجع السابق، ص 245.

[3] أحمد أمين : نفسه ، ص 276.

سطح هضبة حوران[1]، شرقي الجولان وغربي اللجا وجبل الدروز، بأنه بركاني في قسمه الأعظم وفيه صخور بازلتية، وتربته غنية خصبة، وتمتد أراضي حوران البركانية باتجاه الجنوب الشرقي في صحراء الحماء إلى تلك الحقول الحجرية في الحجاز المعروفة باسم (حرات)[2].

المطلب الخامس: الصحراء السورية

أما المنطقة الخامسة فهي الصحراء السورية، وهي تمتد بين وادي الفرات والمنخفض السوري الكبير وهي تفصل بلاد سوريا الكبرى عن العراق كما تفصل بين طرفي الهلال الخصيب[3]، ويعرف القسم المجاور للعراق (بادية الجزيرة) أو (بادية مابين النهرين).أما القسم الجنوبي فكان يعرف باسم (بادية العراق)أو(السمادة) وأما القسم الجنوبي الغربي من بادية الشام فيعرف باسم الحماد، وسطحه حجري في بعض أجزائه ورملي في أجزائه الأخرى ويكسوه العشب في الربيع[4].

وتؤلف البادية السورية العراقية مثلثاً كبيراً ترتكز قاعدته على خليج العقبة في الغرب والكويت في الشرق، بينما تصل قمته منطقة حلب في الشمال .ويبلغ عرض هذه البادية في أوسع مناطقها 1287.48 كلم. وعاش الرعاة الرحل على المراعي التي تغطي هذه المنطقة في الربيع، وكانت تطرقها منذ أقدم العصور آلاف القوافل التي تتخذ طريقها في حلب ودمشق وبترا إلى بابل والخليج العربي لتبادل المحاصيل ونقل المتاجر. كما شيدوا بعض المدن مثل تدمر الواقعة على الطريق عبر البادية بين الشرق والغرب[5] (خريطة1).

---

[1] أطلق عليها في العصر الكلاسيكي Auranitis وأطلق عليها في التوراة باشان، وجورانو(الأراضي المجوفة) وتقتصر حوران في المعنى المحدود للكلمة على السهل الواقع شرقي الجولان وغرب اللجا وجبل الدروز،وفي المعنى الواسع كانت تشمل هذه المناطق الثلاث بالاضافة إلى عجلون.

[2] Semple, E.C, The Geography of the Mediterranan Region, London, 1932, p42

[3] الهلال الخصيب، مصطلح جغرافي أطلقه عالم الآثار الأمريكي جيمس هنري برنستد على حوض نهري دجلة والفرات والجزء الساحلي من بلاد الشام – إيان تايتر سول،العالم من البدايات حتى4000،تر، حازم نهار، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011، ص197.

[4] طه باقر: المرجع السابق، ص ص246-247 .

[5] أحمد أمين: المرجع السابق، ص 276

المبحث الثاني: البيئة والمناخ في بلاد سوريا الكبرى

المطلب الأول: البيئة

للبيئة، تأثير كبير في أنماط حياة الجماعات المختلفة، فإذا كانت بعض المظاهر الطبيعية تشكل حواجز جغرافية، وتختلف في شكلها وطبيعتها من منطقة إلى أخرى، فإنها كانت عائقاً، بل وسبباً أحيانا في صعوبة أو سهولة انتقال الثقافات من مكان إلى آخر، بل إن البيئة الجغرافية والطبيعية التي قطنها الناس عبر العصور هي التي حددت هويتهم الثقافية، فمثلاً نقول إن سكان البادية بدو، وإن سكان الجبال والسواحل حضر، وتعكس الصفة طبيعة الموصوف[1].

وعلاوة على أن بلاد سوريا الكبرى همزة وصل و بؤرة التقاء وتفاعل بين حضارات آسيا وأوروبا وإفريقيا، فإن البيئة الطبيعية قد منحتها ميزة أخرى من حيث التنوع البيئي الناتج عن اختلاف التضاريس الطبيعية، فكان سكانها على تواصل دائم مع أبناء الحضارات الكبرى التي نشأت في المناطق المجاورة، لاسيما في بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية، ومصر القديمة، والأناضول، وإذا كان نهر الفرات يربط أعالي بلاد الشام ببلاد الرافدين والأناضول، فإن الصدع الآسيوي الإفريقي يربط البلاد جمعيها بأواسط أفريقيا. كذلك فعن الساحل الشرقي للبحر المتوسط كان ولا يزال، عامراً بالموانى البحرية التي ربطت بلاد الشام بغيرها من المناطق، لاسيما بلاد الإغريق وشمالي إفريقيا. أما جنوبي بلاد الشام، فيتصل بشمالي الجزيرة العربية، كما يتصل بمصر عبر صحراء سيناء، وتؤكد المكتشفات الأثرية والكتابات القديمة الصلات الحضارية بين بلاد الشام وغيرها من المناطق[2].

وفي الوقت الذي رأى فيه بعض الباحثين أن البيئة الصحراوية تشكل عامل طرد للإنسان، ولا تمكنهم من الاستقرار فيها، فإن التحريات الأثرية أثبتت أن الصحراء كانت ملاذًا لأعداد كبيرة من الناس خلال العصور الحجرية والقديمة تمكن الإنسان عبرها من مواجهة قسوة

[1] زيدان عبد الكافي كفافي: بلاد الشام في العصور القديمة، من عصور ما قبل التاريخ حتى الإسكندر المقدوني، دار الشرووق، الأردن، 2011، ص ص28-29.

[2] نفسه ، ص 30.

الصحراء والتغلب عليها، وتدل مسوحات التنقيبات الأثارية التي أجريت، ولا تزال في المنطقة الوسطى من بلاد الشام على أنها كانت مأهولة منذ أقدم العصور الحجرية (كما هو الحال في موقع يبرود قرب دمشق).

وإذا ما انتقلنا إلى الجزء الجنوبي من بلاد الشام، وجدناه يشمل مناطق واسعة تضم الأردن وفلسطين حالياً، وتمتد هذه المنطقة من سفوح جبل الشيخ في الشمال حتى البحر الأحمر وسيناء في الجنوب، ومن العراق والسعودية شرقاً حتى البحر المتوسط غرباً ويعد نهر الأردن شريان الحيوي في هذه المناطق، ويثبت ذلك التماثل والتشابه في المكتشفات الأثرية التي وجدت في المواقع المنتشرة على ضفتي النهر، كما يربط جنوبي بلاد الشام حضارياً بشمالي الجزيرة العربية[1].

لقد عاش الناس في جنوبي بلاد الشام منذ العصور الحجرية القديمة(مثل موقع العبيدية في فلسطين، ومواقع أخرى في جبال الجليل والكرمل)، ونشأت على أرضه أقدم القرى الزراعية(مثل أريحا ووادي فينان وعين غزال)، تلتها نشأت المدن في البوادي(مثل جاوة في الأردن، وعراد في فلسطين) وفي السهول (مثل خربة الزيرقون قرب إربد في الأردن، وتل المتسلم في سهل مرج بن عامر في فلسطين) وفي السواحل(تل أبوحوام قرب حيفا في فلسطين)[2].

المطلب الثاني: المناخ

تكاد تظهر في مناخ الإقليم السوري مميزات مناخ إقليم البحر المتوسط، والصفة السائدة فيه تناوب فصل ممطر يبدأ من نوفمبر وحتى نهاية مارس مع فصل جاف يشمل بقية السنة .وعند هبوب الرياح الغربية السائدة على البحر المتوسط تمتلئ بالرطوبة، وعندما تتقابل مع جبال لبنان ومنطقة التلال الوسطى في فلسطين ترتفع، وبارتفاع الهواء فإنه ينحدر وتسقط بعض محتوياته في شكل أمطار، وكان لذلك أثره في أن المنطقة الساحلية على السفح الغربي

[1] زيدان عبد الكافي كفافي: المرجع السابق ، ص30.
[2] نفسه ،ص 31.

لجبل سورية تتلقى أكبر كمية من الأمطار، وتتناقص كمية الأمطار وفقاً لدرجة الابتعاد من الغرب نحو الشرق ومن الشمال نحو الجنوب[1] .

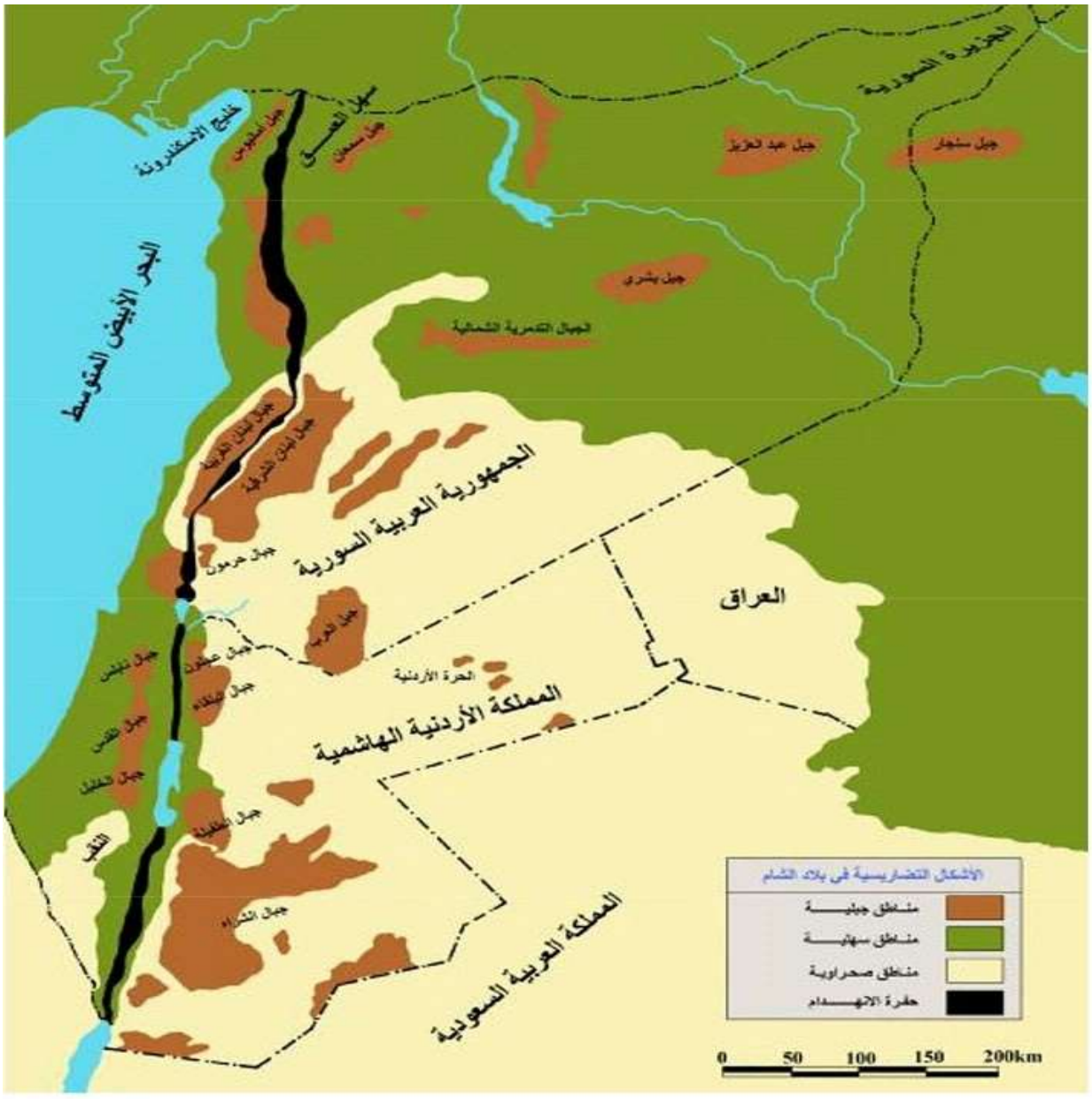

خريطة 1: بلاد الشام الطبيعية

المرجع ، زيدان عبد الكافي ، المرجع السابق، ص 22.

[1] أحمد أمين: المرجع السابق، ص 288.

الفصل الأول: سوريا الكبرى في العصر الحجري القديم (الباليوليت) palaeolitic

المبحث الأول: العصر الحجري القديم الأسفل

المبحث الثاني: العصر الحجري القديم الأوسط

المبحث الثالث: العصر الحجري القديم الأعلى

تمهيد:

إن العصر الحجري القديم استمر ردحاً طويلاً من الزمن حوالي مليون ونصف وحتى 19.000 سنة من الحاضر، فقد قسمه العلماء إلى ثلاث مراحل،هي من الأقدم فالأحدث.

المرحلة الأولى lowcr palaeolithic :(الأسفل) من 1.5 مليون سنة إلى 250.000 سنة من الحاضر.

المرحلة الثانية middle palaeolithic :(الأوسط) من حوالي 250.000 إلى 40.000 سنة من الحاضر .

المرحلة الثالثة upper palaeolithic :(لأعلى) من حوالي 40.000 إلى 19.000 سنة من الحاضر.

ولما كان الهدف من هذه الدراسة التركيز على العصور الحجرية في سوريا الكبرى،فإننا سنقدم موجزاً عن طبيعة الحياة والأدوات مع، الأخذ بعين الإعتبار الفواصل الزمنية بين مراحل العصر الحجري القديم[1].

المبحث الأول: العصر الحجري القديم الأسفل

المطلب الأول: مواقعه في منطقة سوريا الكبرى

عاش الإنسان عموماً، خلال العصر الحجري بمراحله الثلاث، حياة بسيطة تنقل فيها من مكان إلى آخر بحثاً عن القوت، فاعتمد الجمع والالتقاط و الصيد وسيلة للعيش.وإنتشر الناس خلال المرحلة الأولى في العديد من المواقع على نهر العاصي، منها اللطامنة، وعلى نهر الكبير الشمالي، ومنها ست مارخو وبير زين[2]، وفي البادية السورية في مواقع عين عسكر(الندوية)والهمل(خريطة2)، وعلى نهر الأردن، ومنها جزر بنات يعقوب والعبيدية وأبو هابيل، وعلى الأحواض المائية، ومنها العويند على حوض الأزرق، وفي المناطق الجبلية ومنها الطابون والسخول في جبال الكرمل في فلسطين، وفي موقع الفجيج في منطقة الشوبك بجنوبي

[1] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 87.

[2] S.Muhesen, Bilan sur La brehistoire De La syrie In;syria.tome 69 fascicule 3-4, 1992 p254

الأردن.لذا نلاحظ أن الإنسان انتشر خلال المرحلة الأولى في جميع بقاع الشام .وكذلك في كهوف عدلون(بين صيدا وصور) وأم قطفة (شمال غرب البحر الميت) والزطية (شمال غرب بحيرة الطبرية)،ورأس شمرا (أوجاريت)[1].

خريطة 2 : أهم مواقع بلاد الشام في العصر الحجري القديم والانتقالي

المرجع، زيدان عبد الكافي ، المرجع السابق، ص 88.

[1] أحمد أمين سليم: في تاريخ الشرق الأدنى القديم،(مصر – سوريا القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 243.

المطلب الثاني: إنسان هذا العصر

وصل إنسان(هومو إركتوس)[1]إلى بلاد الشام(سوريا الكبرى) في حوالي مليون ونصف المليون سنة من الحاضر[2]، إذ ذكر المنقبون في موقع العبيدية، والذي يبعد حوالي5 كلم جنوب غربي بحيرة طبرية في فلسطين، أنهم عثروا على أدوات حجرية بسيطة الصنع، وعظام حيوانية أرخت إلى مليون وأربعمائة ألف سنة،وأن صانعها هو الإنسان المعروف بـ (هومو. إركتوس) وعلى الرغم من هذا التاريخ المقترح لبداية هذه المرحلة في بلاد الشام.إلا أن بعض المختصين لا يقر بذلك بل تعود إلى فترة متأخرة .

وعلى أي حال، يبدو أن هذا الإنسان،وبعد أن دخل بلاد سوريا الكبرى، أخذ ينتشر في المناطق الجغرافية والبيئات المتعددة فيها.

وعندما حاول الأثريين أن يلقوا نظرة أولى على الإنسان في هذه المنطقة، فأنه يفلت منهم كشخص، ولكن آثاره يمكن اكتشافها بشكل أدوات حجرية في بقايا الكهوف أو على سطح الأرض .

ولقد عثر في موقع العبيدية على أربع أجزاء من جمجمة وأسنان دلت دراستها المتأنية أنها تعود إلى نوع (الهومو. إركتوس) وهي بذلك أقدم هياكل عظمية إنسانية من بلاد الشام حتى الآن، وهو أرقى من سلفه، الإنسان الماهر الذي ظهر في العصر الحجري السحيق وبشكل عام فإن إنسان الباليوليت الأدنى منتصب القامة كان أول الأجناس البشرية ذات الدماغ الكبير،وكان أول من تكيف وفق المناخ المعتدل والمناخ البارد .

حيث أن هذا الإنسان(هومو. إركتوس)وصل إلى بلاد الشام قادماً من الجنوب من القارة الإفريقية حيث وجدت الآثار الأقدم له والمحددة بحوالي نصف المليون سنة قبل أن يتحرك إلى مناطق جديدة في الشمال[3] .

---

[1] الهومو إركتوس (الإنسان منتصب القامة)، وهو نوع جديد من البشر متطور في صفاته الفزيولوجية والحضارية عن الإنسان الصانع (هومو هابيل)، وظهر منذ حوالي مليون ونصف سنة وقد أطلق على الهومو إركتوس (البيتاكانتروب).

[2] فرنسيس أور: حضارات العصر الحجري القديم، تع: سلطان محيسن، مكتبة الإسكندرية، ط2، دمشق،1995، ص 42.

[3] زيدان عبد الكافي كفافي: المرجع السابق ، ص88.

الشكل 1: حجر الصوان وبقايا جمجمة إنسان من العصر الحجري القديم .

جمجمة مرممة لأنسان الباليوليت الأدنى حوالي 350.000 سنة من الآن

المرجع، خزعل الماجدي، المرجع السابق ، ص14.

حجر الصوان يشكّل حفر دائرية تكوّن " وعاء غطاء" لموقد نار ما قبل التاريخ في مغارة الطابون.

http://www. sciencemag. org/news/2014/12/israeli-cave-offers-clues-about-when-humans-mastered-fire

ويؤكد الدكتور (سلطان محيسن)[1] بأن انتشار المواقع وتتابعها الزمني يدل على أن(الهومو. إركتوس) سلك في طريقه إلى بلاد سوريا خطين اثنين يشكلان ممرات طبيعية بين أفريقيا وآسيا، الأولى ساحلي أي على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط والخط الثاني داخلي على طول الانهدام السوري الإفريقي أو (الأخدود الإفريقي العظيم) الممتد من جنوب شرق إفريقيا جنوباً مروراً بالبحر الأحمر فوادي عربة فوادي الليطاني وحتى وادي نهر العاصي في سوريا شمالاً[2] .

لقد عاشت مجتمعات القسم الأول الأدنى من العصر الحجري القديم، معاصرة لما يسمى بالآشولي القديم في بقية المناطق في العالم، وتمثل طلائع مجتمعات ما قبل التاريخ ليس فقط في بلاد سوريا وإنما في منطقة غربي آسيا كذلك..ومن بلاد سوريا تحركت تلك المجتمعات شرقاً إلى وسط وشرق آسيا وشمالاً إلى أوروبا[3] .

المطلب الثالث: الأدوات الحجرية المستعملة

استخدم الإنسان خلال المرحلة الأولى أدوات حجرية بسيطة تتلاءم وحاجاته؛ وتكونت هذه الأدوات، غالباً، من القواطع والمفارم والفؤوس اليدوية البسيطة واتفق الدارسون على وجود نوعين من الأدوات في هذه المرحلة هما:

أ)الحصوية: نسبة إلى حصى السيل، وتسمى الأبيفيلية Abbevillian، وهي مصنعة من حجارة الأنهار و السيول المكورة، بحيث يطرق أو يضرب أحد أطرافها الضيقة لتشكيل حد قاطع؛ أما الثانية

ب)فهي الأشولية Achevlian، نسبة إلى موقع سانت أشول في فرنسا حيث عثر عليها لأول مرة، وهي مصنوعة غالباً، من حجر الصوان[4]، فيطرق ويشذب من على وجهيه أو جهتيه

[1] أحد رواد علم آثار في سورية، ولد في ريف دمشق سنة، 1946، من مؤلفاته الصيادون الأوائل و المزارعون الأوائل.

[2] عبد الحكيم الذنون: تاريخ الشام القديم، دار الشام القديمة، سوريا، ط1، 1999، ص 15.

[3] المرجع نفسه، ص 17.

[4] الصوان أو حجر الظران أول حجر أستعمل في مصر منذ العصر الحجري ويتكون من نوع شديد التماسك من السيلكا ولونه رمادي قاتم أو أسود – سيريل ألريد ، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ط1، تر،مختار السويفي، الدار اللبنانية، القاهرة ،1989،ص54 .

الأمامية والخلفية ليصبح ذا شكل هرمي وحواف حادة قاطعة، ويكون أحد طرفيه مدبباً بينما الآخر محدب ليسهل الإمساك به[1] .

حيث لاحظ المختصون بدراسة الأدوات الصوانية أن الطريقة التى استخدمها الناس في تصنيع أدواتهم في موقع جسر بنات يعقوب هي الطريقة نفسها التي استخدمها الإنسان في تصنيع الأدوات في قارة إفريقيا .

حيث يعد المكشط اليبرودي الذي عثر عليه لأول مرة في ملجأ سكفتا في يبرود على سفح جبل القلمون بسورية أهم ما يميز هذه الفترة، حيث كانت الفأس اليدوية في هذه المنطقة أقدم الأدوات الأكيدة التي صنعها الإنسان البدائي،وتتألف من كتلة من لب الصوان أزيلت منها بعض الشظايا ورققت بحيث يسهل إمساكها واستعمالها للقطع أو الدق أما أغصان الأشجار وسائر الأخشاب التي قد يكون الإنسان البدائي قد استخدمها إلى جانب الأدوات الحجرية فإنه لم يكن محتملاً أن تترك أي أثر يمكن اكتشافه بسهولة وذلك بسبب طبيعتها[2] .

ويضيف الدكتور سلطان محيسن بأن آثار هذا العصر هي على العموم نادرة ومواقعه صغيرة باستثناء العبيدية، إلى أنها دليلاً كاملاً على الوجود الإنساني المبكر في بلاد الشام قبل أي منطقة أخرى في آسيا وأوروبا، ورغم ندرة الآثار فإنها ذات تنوع واضح، وما التباين بين جماعات صنعت الفؤوس اليدوية وأخرى لم تستخدمها وإنما اكتفت بالقواطع الصغيرة، إلا الدليل الواضح على هذا التنوع[3] .

المطلب الرابع: المناخ وطريقة العيش

ويحتمل أن يكون البشر الذين تركوا لنا هذه الآثار الحجرية نوعاً بدائياً غير متميز من الإنسان الأبيض ولا تزال حضارته مجهولة؛ وقد كانوا يعيشون في بعض الأحيان على الأقل في الكهوف لوقاية أنفسهم من المطر والحيوانات المفترسة ومن الأعداء وذلك لأن شدة الإقليم

[1] أحمد دياب: (دراسة الأدوات الحجرية لموقع عصور ما قبل التاريخ في درعا وجنوب سوريا)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 115 – 114، كانون الثاني، قسم الآثار، جامعة دمشق، 2011، ص ص 19 16.

[2] فليب حتى: المرجع السابق، ص 7.

[3] عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص18.

في عصر سابق كانت قد فرضت عليهم هذا الأسلوب من المعيشة؛ ولقد وجدت في اللطامنة دلائل باكرة للبناء والنار هي الأولى من نوعها في هذا المجال ..إذ كشفت عن مجموعات منتظمة من الأحجار الكبيرة التي نقلت إلى المواقع من مقلع مجاور، وكانت هذه الأحجار سند جدران أكواخ من الجلد و الأغصان و الأعشاب تشبه خيام البدو التي لا تزال تستخدم لحد الآن[1]، ولكن الزمن أتى على هذه الأكواخ ولم يبقى ما يدل عليها إلا تلك الأحجار الكبيرة، وهذا البناء هو أقدم دليل من بلاد الشام ومن خارج إفريقيا على قيام مجتمعات (الهوموإركتوس) ببناء أكواخ في العراء وهو دليل تحرر من الاعتماد الكلي على المغاور والملاجئ الطبيعية؛ وبالرغم من أن الجليد لم يصل قط إلى الجنوب حتى سورية فإن إقليم هذه البلاد لابد أنه تأثر به؛ وقد كان الطور الإقليمي في نهاية الدور الأول من العصر الحجري القديم من النوع الممطر الكثير الرطوبة والمداري، وكما قلنا أن أوروبا كانت تعاني شدة البرد في العصر الجليدي وهذا ما يسمح للشرق الأدنى بأن يكون سباقاً في تاريخ الجنس البشري ومآثره؛ كما التقط إنسان هذا العصر الثمار البرية كاللوز والزعرور، التي نمت في حوض العاصي الغني الذي كان أشبه بغابة في حين انتشرت الأحراج على المرتفعات المحيطة به، وقد اصطادوا الحيوانات الكبيرة والمتوسطة كالفيل ووحيد القرن وفرس الماء والجمل والحصان والثور والغزال والوعول وغيرها[2]...

المطلب الخامس: الحيوانات واستخدام النار

أ) الحيوانات:

وبعد دراسة وتحليل البقايا العظمية الحيوانية التي عثر عليها في بعض مواقع هذه الفترة، وهي الأقدم في حياة بلاد سوريا الكبرى، تبين أنها تخص الفيلة، ووحيد القرن والكركدن، وفرس البحر، والخنازير البرية، والوعول. لذا يمكن القول إن غالبية هذه الحيوانات تعود إلى فئة

[1] Akkermans,P.M.M.G. and,Schwartz,G.M: The Archaeology of syria, from complex hunter-Gatherers to early urban societies, World Archaeology Cambridge: University pres,2003, p18.

[2] I.E.S. Edwards thelate.C.J.Gadd,N.G.L.Hammond, the Cambridge ancient history, parti1, Prolegomena And Prehistory, volume1,University press, 2000, pp75 -86

الثديات، علماً أن الناس لا بد أكلوا الفقاريات المائية، والأصداف البحرية، والسلاحف والأسماك حيث انقرضت هذه الأنواع اليوم انقراضاً وهي قريبة من الحيوانات التي تعيش في كثيفة النبات[1].

ب) استخدام النار

إن أقدم قطع الفحم المكتشفة حتى الآن في هذه البلاد قد أتت من إحدى الطبقات الدنيا في كهف من كهوف الكرمل؛ وترجع إلى نهاية الدور الأول للعصر الباليوليتي أي إلى نحو 150.000 سنة؛ وهناك قطع أخرى ترجع إلى الدور الأخير من العصر الحجري القديم وتشير في تركيبها إلى نماذج السنديان والطرفاء والزيتون والكرمل؛ ويبدو أن الإنسان البدائي في تدرجه البطيء الشاق من المستوى العقلي المنخفض قد عثر صدفة لا قصداً على اكتشافات أعطته بعض التفوق وأثرت على قدرته الكامنة على الاختراع و زادتها قوة؛ ومن أقدم هذه الاكتشافات اكتشاف النار .

فإنسان العصر الحجري القديم لا بد أنه شاهد و استعمل النار التي ولدتها الشهب الساقطة والبرق وسائر الأحداث الطبيعية؛ وكما عثر في موقع اللطامنة على أحجار محترقة تدل على السكان قد استفادوا من النار سواء عندما كانت تلك النار تشتعل بشكل طبيعي أو ربما أنهم أوقدوها بانتظام[2] .

[1] S. Muhesen: Op cit, p255.

[2] فليب حتى: المرجع السابق، ص ص 13-14.

المبحث الثاني: العصر الحجري القديم الأوسط

المطلب الأول: مواقعه

كشفت المسوحات الأثرية في بلاد سوريا عن عدد من المواقع المؤرخة للمرحلة الثانية من العصر الحجري القديم، منها يبرود وكهف الدوارة وبئر الهمل وجرف العجلة وكهف الديدرية في سورية؛ والطابون والعامود والقفزة والسخول في فلسطين، وعدلون والمسلوخة وكبار عقيل في لبنان، والأزرق وجرف الدرويش ورأس النقب ووادي الحسا ووادي الحمة في الأردن، وأم التلال وأم قبية ومغاور جبال سمعان في وادي عفرين بحلب[1]

المطلب الثاني: إنسان هذا العصر

ترجع أقدم بقايا الهياكل العظمية البشرية في الشرق الأدنى إلى أواسط العصر الحجري القديم، وقد عثرت معظمها في كهفين من كهوف جبل الكرمل[2] الآنسة جارود وكذلك في كهف يقع في جنوبي الناصرة؛ وآخر في شمال غربي بحيرة طبرية، ويشكل اكتشافها حادثاً بالغ الأهمية بالنسبة لعصر ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى؛ وجميع هذه البقايا ترجع إلى النموذج الموستيري الحضاري (وقد سمي كذلك باسم كهف في فرنسا) ويعود عهدها إلى ما قبل مائة سنة على الأقل، وهي تظهر سلسلة كاملة من بقايا الهياكل العظمية تتراوح بين النوع النياندرتالي (باسم واد في منطقة الراين) وبين أنواع أرقى حتى تكاد تكون من النوع البشري الحديث والإنسان االنياندرتالي كان قصير القامة كثيف البنية وكان يمكنه الوقوف تقريباً بدون أن يكون منتصباً تماماً، والذي يلفت النظر بشكل خاص في بعض هياكل جبل الكرمل أنها تظهر بعض الصفات التشريحية التي للإنسان الحديث، وقد كانت سعة جمجمتها أكبر مما كانت عند الأوروبيين من النوع نفسه، وكان الذقن أكبر ولكنه كان ينقصها التركيب المتصل بالكلام المترابط، حيث نقول أن شكله العام أنه قصير القامة بالنسبة للإنسان العاقل ويحمل على كتفيه العريضتين جمجمة كبيرة مستطيلة، عظمها سميك وصدفتا العينين واسعتان تحف

[1] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 91.

[2] محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيئ الإسكندر، مطبعة المصرى، 1967، ص 262.

بهما نتوءات بارزة . أما الأنف فمسطح، وعظام الحنك نافرة صلبة، والأسنان كبيرة، وفي الحنك الأسفل ذقن صغير واضح، والصدر واسع والعضلات ضخمة، وهو ما يعطيه قوة جسدية كبيرة؛ واليدان كبيرتان، لكن عظام الأصابع محددة الحركة، و الفخض عنده أقصر من الساق والظهر يميل إلى الانحناء نحو الأمام، حيث يبقى الرأس مائلاً في هذا الاتجاه[1] .

بشكل عام إنجازات إنسان الباليوليت الأوسط هي قدرته على التكيف مع الطبيعة بشكل أفضل فقد ارتدى الجلود وطور الإفادة من النار وهيأ لها المواقد في الكهوف ووسع من استخدامها، وكان صياداً ماهراً[2] .

المطلب الثالث: مخلفات إنسان هذا العصر

لم تختلف طبيعة الحياة في المرحلة الثانية من العصر الحجري القديم عنها في المرحلة الأولى إذ بقى الناس يعتمدون الصيد والجمع والالتقاط وسيلة للعيش، لكن الذي اختلف الآن هو ظهور نوع جديد من الأنسنة كما سبق ذكره هو إنسان نياندرتال[3]، حيث وجدت مخلفات هذا الإنسان لأول مرة، فقد إبتكر هذا الإنسان طريقة جديدة في صنع أدواته الصوانية، عرفت بالطريقة (اللافلوئية)، أما الأدوات فسميت الموستيرية، وباستخدام هذه الطريقة التي تعتمد على تحضير النوة، وطرقها على الوجهين والجوانب، يضغط عليها لاستخراج عدد من الشظايا، أي أن الأداة لم تعد الحجر نفسه فقط، بل الشظايا الحجرية التي تستخرج منه أيضاً ، كذلك اختفت في هذه المرحلة الأدوات الثقيلة الكبيرة، وحلت محلها الأدوات الأصغر حجماً لاسيما المقاحف (المكاشط)، والأدوات المدببة، لاسيما رؤوس الرماح[4] .

---

[1] Takeru Akazawa, Kenichi Aoki, and Ofer Bar yosef, neandertals and modern humans in western Asia, Kluwer Academic publ ishers, Newyork, London, 2002, p 11.

[2] Akkermans,P.M.M.G. and,Schwartz,G.M: Op cit, p54.

[3] نعيم فرح: موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم(السياسي، و الإجتماعي، و الإقتصادي،و الثقافي)، دار الفكر، دمشق، 1972، ص11.

[4] خزعل الماجدي: تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الإحتلال الروماني، دار غيداء، ط2، عمان، 1438هـ 2017م، ص 25.

الشكل 2: فؤوس يدوية من موقع الهمل/ سورية

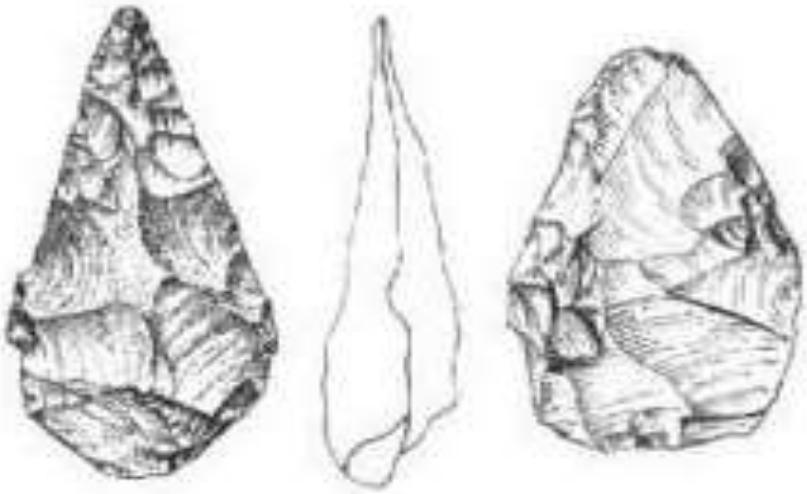

المرجع، فليب حتى ، المرجع السابق ، ص 11 .

الشكل3: أدوات صوانية موستيرية من وادي الحسا / الأردن

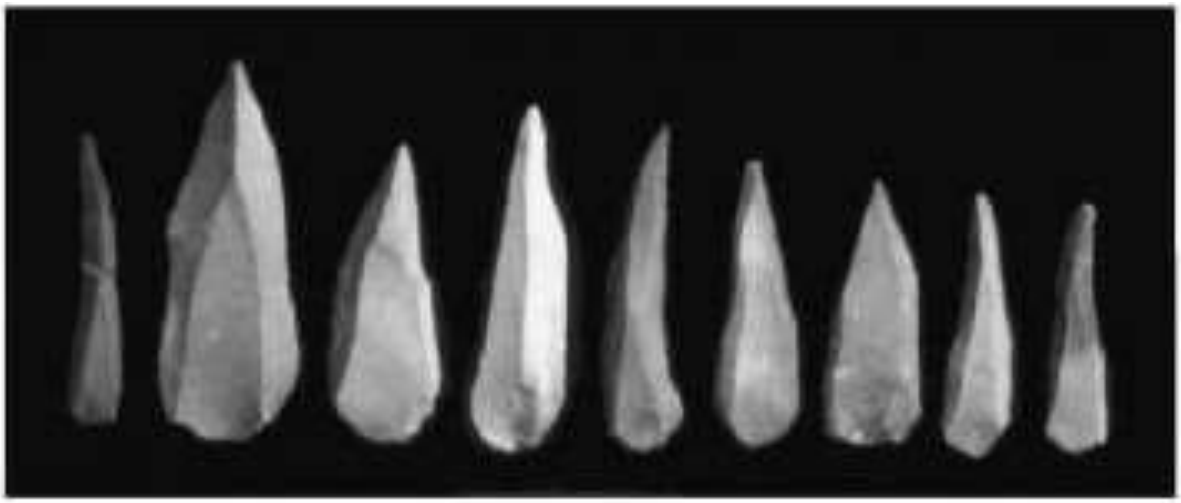

المرجع ، زيدان عبد الكافي ، المرجع السابق ، ص 92 .

المطلب الرابع: طقوس ومعتقدات إنسان نياندرتال

ومع ظهور إنسان النياندرتال، إنسان العصر الحجري القديم الأوسط[1]، نتحدث عن حياته الروحية، لأنه ثبت أن إنسان النياندرتال كان أول نوع يثبت لدى الباحثين أنه مارس شعائر ومعتقدات محددة تدل على درجة عالية من التقدم الفكري لم يصلها أسلافه من قبل، وكانت حياته الدينية أعلى مستوى من حياته الاقتصادية فهو أول من دفن موتاه مما ساعد على العثور على الكثير من الهياكل العظمية المحفوظة جيداً في العديد من المواقع[2] .

وهناك من مناطق أخرى من العالم معلومات تدل على أن النياندرتال قد أكل اللحم البشري وبخاصة النخاع، حيث عثر في فرنسا ويوغسلافيا وإيطاليا على جماجم نزع نخاعها[3]، وعلى عظام نساء إما صغيرات في السن أو عجائز وقد قطعت وقرضت بالأسنان وألقيت بقرب الموقد الذي جرت حوله الشعائر المتعلقة باللحم البشري، لأن هذه العادة على الاعتقاد لم تكن تمارس لإشباع غريزة الجوع وإنما عكست معتقدات دينية آمنت بها تلك المجتمعات التي كانت تفكر بالموت مثلما فكرت بالحياة وكان لها من هذا الموت موقفاً محدداً معتقدة بأنه لا ينهي حياة أفرادها مما دفعها على متابعة الاعتناء لهم ودفنهم باهتمام وتزويدهم بالأدوات و الأطعمة والألبسة التي ظن أنهم سوف يحتاجونها في العالم الآخر[4] .

حيث يظهر أن الجماعات البشرية أصبحت أكثر انسجاماً مع بعضها، فقد بدأ الناس يدفنون موتاهم بطريقة تدل على الاهتمام بصاحب القبر، فعلى سبيل المثال، عثر في موقع القفزة في فلسطين على مدفن لشخصين، إحداهما بالغ، والثاني عمره ستة سنوات كما عثر على

[1] أمل القاسم: (وادي الخوابي موقع جديد لعصور ما قبل التاريخ جنوب سورية)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد9، العدد1، 2015،ص94.

[2] الياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، لبنان، ص 27.

[3] محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص 262.

[4] عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص 27.

مدافن أخرى في الموقع نفسه، وفي مواقع أخرى مثل السخول، حيث عثر على مدفن جماعي فيه عشرة هياكل عظمية، ثلاث منها تخص أطفالاً[1].

ودفنت الجثث دون اتجاه محدد، فقد دفن بعضها على الظهر أو الجانب أو الوجه ولكن كانت دائماً الأرجل منثنية، وقد عثر على أحد هذه الأجساد وقد أمسك المتوفي بخطاف في ذراعه بعظام فك خنزير بري، ويتجه الباحثين إلى الاعتقاد بأنها تمثل قرابين[2] .

حيث كان إنسان هذه البلاد لا يزال يعيش في الكهوف في أواسط العصر الباليوليتي، وما شك فيه أن النظام الاجتماعي كان بدائي يدور حول وحدات من الجماعات التي تعيش على ما تنتجه[3]

المطلب الخامس: مناخ وحيوانات هذا العصر

كانت الأحوال الإقليمية لهذه الحضارة تتجه اتجاهاً واضحاً نحو الجفاف بين دورين ممطرين حيث عاصر هذا الدور العصر الجليدي الأخير. فيرم الأخير في أوروبا، ومع أن الطقس أصبح دافئاً وجافاً فإن الأنهار الدائمة لا تزال تروي البلاد وبقيت هنالك بعض المساحات المحرجة والمشجرة[4] .

وتنبئ البقايا الحيوانية عن وجود الغزال والضبع والمرقط والدب والجمل وخنزير النهر والوعول بالإضافة إلى الكركدن وفرس النهر[5] .

[1] عبد الحكيم الذنون: نفسه ، ص27.

[2] إبراهيم عميري: المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 2012، ص 24.

[3] عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص 28.

[4] S.Muhesen: Op cit, p253.

[5] فليب حتي: المرجع السابق، ص 12.

المبحث الثالث: العصر الحجري القديم الأعلى

المطلب الأول: مواقعه

انتشرت الجماعات البشرية خلال المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم (الأعلى) فوق معظم مناطق بلاد سوريا، وعثر على مواقع تابعة لها في بيئات مختلفة داخل الكهوف وفي العراء، ومن أهم تلك المواقع ملجأ يبرود الثاني و جرف العجلة وكهف الدوارة في سورية، ومواقع منتشرة فوق مناطق وادي الحمة ووادي الحسة والأزرق و الحسمى في الأردن، ومغارة الواد، ومغارة الأميرة في فلسطين ومنطقة الكوم وتدمر في سورية، وكسار عقيل في لبنان وكهوف أنطلياس وفي حوض نهر الكلب[1] .

المطلب الثاني: إنسان هذا العصر

وفي النصف الثاني من العصر المطير الأخير المرادف لعصر فيرم الجليدي في أوروبا، أي منذ حوالي 35 ألف سنة مضت، البشرية في عصر جديد ،استمر حتى حوالي الألف الثاني عشر ق.م أطلق عليه اسم العصر الحجري القديم الأعلى ،الباليوليت الأعلى . وفي مطلع هذا العصر اختفى النياندرتال وظهر نوع جديد من البشر تطور على ما يبدو من النياندرتال الفلسطيني وهذا النوع هو (الهوموساينبس) أي (الإنسان العاقل) جدنا المباشر والأقرب لنا من كل الأنواع البشرية التي عاشت في العصور ما قبل التاريخ،ويرجع التطور لتقارب صفاته الفسيولوجية القريبة جداً من صفات الإنسان العاقل، ويعتقد العلماء أن الإنسان الذي صنع حضارة الباليوليت الأعلى الراقية، امتلك صفات جسدية متطورة دماغاً كبيراً لا يقل حجماً وأهلية عن دماغ الإنسان الحالي، وملامح نعومة، وهيكلاً عظمياً شبيهاً جداً بالذي ينتصب عليه الإنسان الحديث، وأنه كان صاحب يدين ماهرتين ورشيقتين[2]، بصورة لم يسبق لها مثيل، الأمر الذي مكنه من صنع أدوات أكثر تشذيباً من تلك التي صنعها النياندرتال. ويبرز ذلك في صناعة الشفرات الطويلة و الجميلة، التي كانت نتاج تقنيات جديدة، وعلى درجة عالية من

[1] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 95.

[2] شوقي شعث : دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ج4، مركز الآثار والتراث الفلسطيني، ط1، دمشق،2001، ص48.

الرقي. وهذه التقنيات تظهر ذكاء ومهارة وخيالاً لدى إنسان الباليوليت الأعلى لم تسجل من قبل، فوفرت له المزيد من الغذاء[1] .

المطلب الثالث: أدواته الحجرية

لقد أخذت الأدوات الصوانية الموستيرية الكبيرة والثقيلة تختفي بالتدريج خلال المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم، وأخذت النصال الطويلة التي يبلغ طول الواحدة منها ضعفي عرضها تستخرج من نوى منشورية الشكل، كما سادت في المرحلة الثالثة، المقاحف العلوية (الرأسية) التي استخدمت، ربما لكشط الجلود و صنع الأدوات الخشبية .

ويقول الباحثون إن الأدوات الصوانية المكتشفة في موقع كسار عقيل اللبناني تمثل مرحلة انتقالية بين الأدوات التي استخدمت في المرحلتين الثانية والثالثة من العصر الحجري القديم، والدليل على هذا هو طريقة صنع الأدوات الصوانية في الموقع، وفي الوقت نفسه، مدببات لافالوائية تعود للمرحلة الثانية، ونصلات صوانية تعود للمرحلة الثالثة .لكن الأمر اختلف تماماً في المرحلة الثالثة حيث أستخرج الصانع نصلات صوانية فقط من نواة حجرية طرقها في مكان واحد[2] .

ونتيجة للدراسة الميدانية المتعلقة بتصنيع الأدوات الصوانية، استطاع العلماء التعرف إلى ثلاث أنماط من الأدوات، استخدمت جميعها خلال المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم، وهي:

*أدوات صنعت بطريقة متأثرة بتقنية صنع الأدوات اللافالوائية الموستيرية، وتتكون من المقاحف، والمدببات، والمحراب الصغيرة، والنصلات المعوجة الظهر، وتشكل هذه الأدوات مرحلة انتقالية بين مرحلتين الثانية والثالثة للعصر الحجري القديم، وعثر على مجموعات من هذه الأدوات في مواقع أهمها كسار عقيل في لبنان و الأميرة في فلسطين.[3]

[1] الياس شوفاني: المرجع السابق، ص 20.
[2] نفسه ،ص 21.
[3] شوقي شعث : المرجع السابق، ص95.

*أدوات تمثل ما يعرف باسم الصناعة الأورينياسية الشامية وهي تمثل صناعة الأدوات الصوانية في المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم، والتي تكونت من مثاقب، ومقاحف علوية، ومناقش، والنصلات الصغيرة، والمدببات.

*النمط الثالث يتميز بشيوع النصلات الصغيرة ذات الظهر المحدب والمقاحف ذات الجبهة السميكة، والأدوات الصغيرة جداً والتي شكلت مرحلة انتقالية لصناعة المرحلة الكبارية اللاحقة لها[1].

ويتفق العلماء أن ثمة تداخل بين نمطين في هذه الأنماط الثلاثة، الأولى يسمى (الأحمرية) نسبة إلى عرق الأحمر في فلسطين ويؤرخ للفترة بين حوالي 38.000. 20.000- 18.000 سنة من الحاضر، وقد ازدهرت صناعة مثل هذا النمط في مواقع صحراء النقب في فلسطين؛ وفي جنوبي الأردن، وصحراء سيناء[2] .

الشكل4: أدوات صوانية تعود للمرحلة الثالثة للعصر الحجري القديم من موقع عين لبحيرة

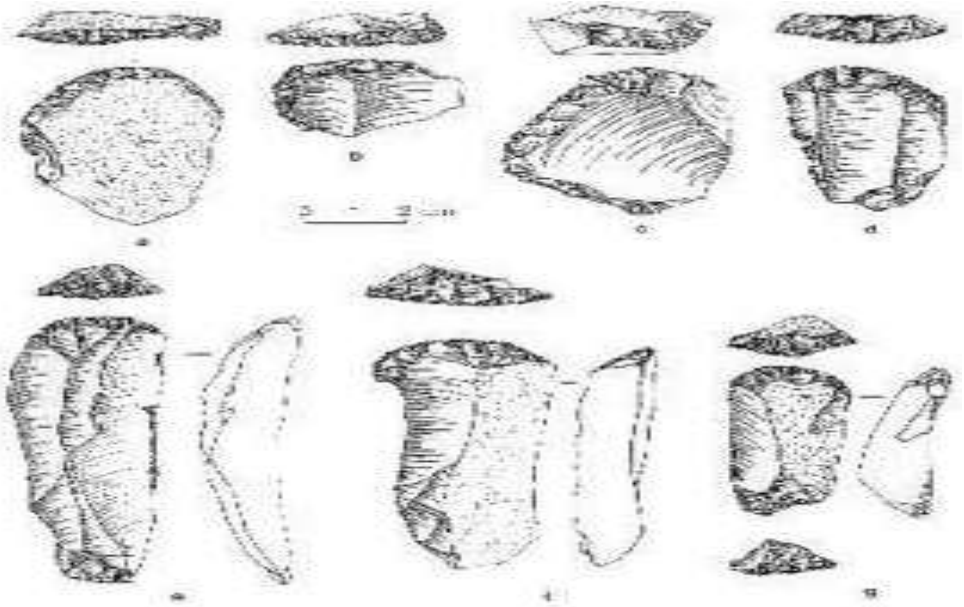

[1] شوقي شعث ،نفسه ،ص 96.

[2] Perves Maurice: La prehistoire de la syrie et du liban in: syria,tome 25 fascicule 1, 1946, pp 119 120

الشكل5: أدوات صوانية من مواقع مختلفة في جنوبي بلاد الشام، المرحلة الثالثة (الأحمرية)،المرجع، زيدان عبد الكافي ، المرجع السابق، ص 39 -95.

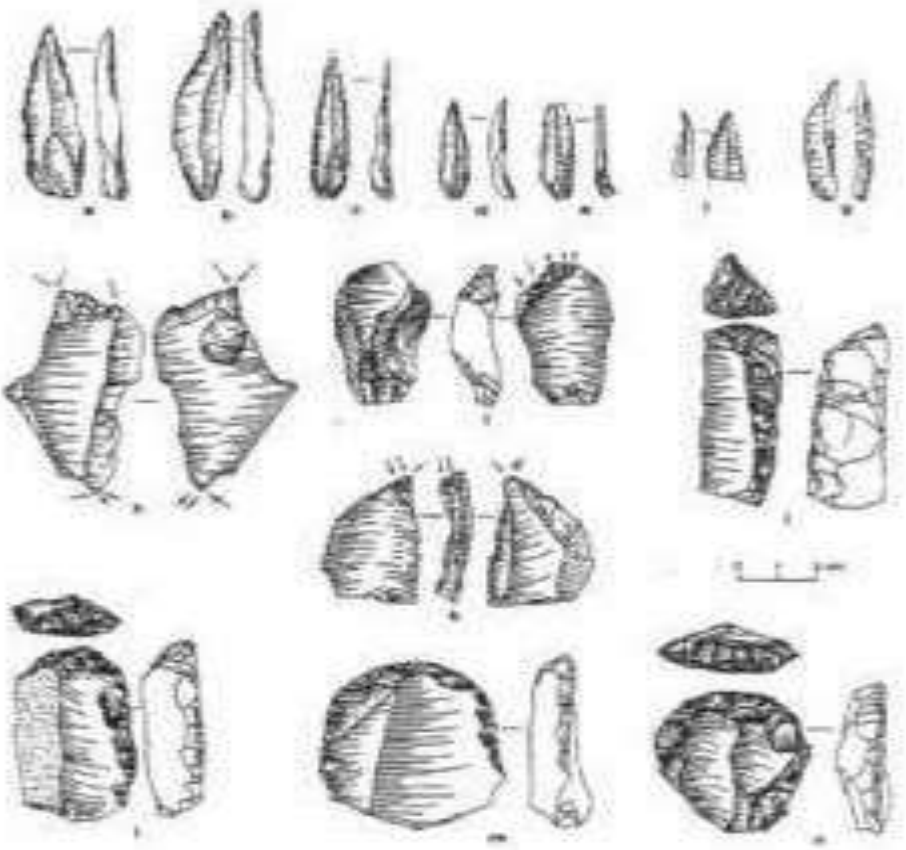

أما النمط الثاني والمسمى (الأورينياسية) فتركز في المنطقة الوسطى و الشمالية من بلاد الشام، وقد عدها بعض المختصين ثقافة دخيلة على بلاد سوريا الكبرى، دخلت إليها في الفترة ما بين حوالي32.000-27.000 سنة من الحاضر، وتكونت الأدوات المنسوبة لهذا النمط من المقاحف المصنوعة على نصلات والشظايا و المناقش، وقد عثر على عدد من تلك الأدوات في فلسطين في مغارة الواد بالقرب من مدينة حيفا، وبالقرب من مدينة طبرية[1] .

لقد صنع الإنسان العاقل أدوات حجرية جديدة أهمها نذكر النصال الطويلة التي استخرجها كما قلنا من نوى موشورية الشكل، وصنع من تلك النصال حراب صيد فعالة قذفها على الأرجح

[1] Perves Maurice: Op cit, p 120.

بالقوس وليس باليد كما كان في العصر الذي سبقه، واستخدم بكثافة المقاشط والأزاميل[1] والمخارز و السكاكين، وأتقن لأول مرة بشكل واضح تقنيات تصنيع الأدوات والأسلحة العظمية من قرون الحيوانات، وبذلك أصبحت الآثار العظمية من الدلائل الزمنية والحضارية الهامة على مجتمعات ذلك العصر، ومن الأدوات العظمية الرئيسية تعد الرماح والصنانير والخطاطيب والإبر والمخارز[2] .

المطلب الرابع: المناخ و طريقة العيش

حدث تطور نوعي وكمي في مجال البناء فأقيمت المساكن الكبيرة ذات الأشكال البيضوية والدائرية التي رصفت أرضها بالحجارة وقسمت داخلها وجدت على جدران عشرات المغاور والملاجئ، وهذه البيوت كما يظهر عبارة عن أكواخ وخيام، تقام على مصاطب محفورة، أو محاطة بالحجارة أو بأكوام التراب والسقف فيها من جلود الحيوانات، تقوم على دعائم مائلة، يشبهها البعض بخيام الهنود الحمر في أمريكا. كما أن هذا الإنسان هو أول من عرف الإضاءة المنزلية مستخدماً لذلك سراجاً حجرياً، يغذه بدهن الحيوان. ويقدر الباحثون أن تنوع الأواني المنزلية، وكذلك تطور أدوات العمل والصيد، ورقي أغراض الزينة، تفترض نوعاً من التخصص في العمل. وبالتالي قيام المشاغل الحرفية الأولى .[3]

وعلى الرغم من كون الاكتشافات المميزة لحضارة الإنسان العاقل أتت من أوروبا مناخية وذاتية وغيرها إلى اختيار أماكن محددة والاكتفاء بما هو ضروري من أجل استمرار عيشه، وعلى، ضوء التقنيات الأثرية التي جرت في هذه المواقع وفي غيرها نستطيع إيجاز صفات

[1] فاطمة جود الله، سوريا نبع الحضارة، تاريخ وجغرافيا أهم الآثار في سورية، دار الحصاد، ط1، دمشق، سورية، 1999، ص 12.

[2] أحمد يوسف دياب: (آسيا الغربية في العصر الحجري القديم، دراسة متخصصة في الأدوات الحجرية)، رسالة لنيل الدكتوراه، قسم الآثار المصرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2005م- 1426هـ، ص 120.

[3] شوقي شعث : المرجع السابق، ص 46.

مجتمعات هذا العصر بأنها بقيت تعتمد على الالتقاط والصيد، وإن هذا النشاط قد مورس في ذلك الحين بتخصيص أكبر إدراك أوسع للبيئة ومواردها[1] .

حيث دام هذا العصر مدة طويلة هناك من يبرهن على تزايد في الجفاف باستثناء مرحلة من الرطوبة، وتشير البقايا الأثرية على تناوب الإقليم الحار والبارد من النوع الرومي (إقليم بلاد البحر المتوسط) ويمتد ذلك حتى أواخر العصر الحجري القديم؛ وتقابلها الأورغناسية في أوروبا[2]

المطلب الخامس: الحيوانات

أظهرت الحفريات الحديثة (1937) في كار عقيل قرب أنطلياس بقايا هياكل عظمية لحيوانات مثل الضبع والكركدن والثعلب والماعز، ومتحف الجامعة الأمريكية في بيروت غني بأدوات العصر الحجري بصورة خاصة، وتحتل بقايا الغزلان مكانة رئيسية بين البقايا الحيوانية، ووجدت صور لحيوانات مختلفة محفورة بالخدوش أو بالمطارق على الصخور في كلوة بجبل الطويق في الزارية الجنوبية الشرقية من القطر تعود لأواخر العصر الحجري القديم، وهذه الحيوانات انقرضت[3] .

[1] شوقي شعث ، نفسه ،ص47.

[2] الياس شوفاني: المرجع السابق، ص ص 20 19.

[3] تقي الدباغ: الوطن العربي في العصور الحجرية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، العراق، بغداد، 1988، ص 47.

الفصل الثاني: سوريا الكبرى في العصر الحجري الوسيط (الميزوليت)

المبحث الأول: الحضارة الكبارية

المبحث الثاني: الحضارة الناطوفية

تمهيد:

يتطور العصر الحجري القديم بصورة لا يشعر بها نحو العصر الحجري الحديث الذي استخدم فيه الإنسان الأدوات الحجرية المصقولة، وقد سميت الفترة الانتقالية بالعصر الحجري الوسيط (الميزوليتي) ودامت نحو ستة آلاف سنة اعتباراً من حوالي عام 19.000 وحتى 10.500 سنة من الحاضر، حيث تعرف هذه بالمرحلة الانتقالية بين الجمع والصيد والإنتاج، أو بين المجتمعات المتنقلة والصيادة و الجامعة للقوت والمجتمعات المستقرة والمنتجة له، وهي محطة مهمة في حياة المجتمعات البشرية، إذ تحول الإنسان إلى الاستقرار الدائم في مواقع ثابتة، رافقت ذلك تحولات اقتصادية و اجتماعية وتقنية حيث يذكر العلماء أن التغير البيئي كان السبب في الانتقال إلى الإنتاج، فقد حاول العلماء التعرف إلى كيفية حدوثه[1].

ونتيجة لدراسة كثير من النواحي المتعلقة بالثقافة المؤرخة للمرحلة الانتقالية، لا سيما الأدوات الصوانية والاقتصاد وطبيعة الاستقرار؛ تعرف العلماء إلى نوعين رئيسيين من الأدوات نسب كل منها إلى ثقافتين هما:

أ) الثقافة الكبارية: وتنقسم إلى قسمين

1. الكبارية (حوالي 19.000 .14.000) سنة من الحاضر

2. الكبارية الهندسية (حوالي 14.000. 12.000) سنة من الحاضر

ب)الثقافة الناطوفية: وتنقسم إلى قسمين

1. الناطوفية المبكرة (حوالي12.000. 11.000) سنة من الحاضر

2. الناطوفية المتأخرة (حوالي 11.000. 10.500) سنة من الحاضر

ويشار إلى أن المعلومات المتوفرة عن هاتين الثقافتين جاءت من جنوبي بلاد سوريا أكثر من شمالها، وربما يعزى ذلك إلى المشاريع الميدانية التي جرت في الأردن وفلسطين أكثر منها في سورية ولبنان[2] .

[1] رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 2002، ص ص 109 – 113.

[2] زيدان عبد الكافي، المرجع السابق، ص ص99 –100.

المبحث الأول: الحضارة الكبارية

المطلب الأول: التعريف بالحضارة الكبارية

سميت هذه الثقافة بـ (الكبارية) نسبة إلى مغارة تقع في وادي كبارا بفلسطين، والتي تبعد حوالي 10 كلم شمال شرقي مدينة عسقلان إلى ساحل البحر المتوسط[1]؛ بدأت التقنيات في المغارات على يد كل من دورتيا غارود[2] و فرانسيس تورفيل بينز، حيث عثر وللمرة الأولى، على نوع من الأدوات الصوانية التي نسبها الباحثون إلى هذا الموقع، لكن موقع كبارا حظي بأهمية أكبر لدى دارسي عصور ما قبل التاريخ بعد أن اكتشفت فيه عام 1982 بقايا هياكل عظمية لإنسان نياندرتال، مصاحبة لأدوات صوانية صغيرة جداً جانباً إلى جانب مع أدوات كبيرة أخرى، وإن هذه الأدوات الصغيرة تشبه في حجمها مثيلاتها في الحضارة الناطوفية (حوالي 10.000إلى 8.500) ق.م، التي كانت تنسب إلى العصر الحجري الوسيط ، دفع العلماء إلى تصنيف كلتا الحضارتين ضمن فترة واحدة سميت (المرحلة اللاحقة للعصر الحجري القديم)[3].

المطلب الثاني: مواقع تواجدها

إن توزع الإنسان خلال المرحلة الأولى منها في مناطق متعددة من بلاد سوريا، سواء الساحلية أو الغابات، أو الصحراوية، أو الشبه الصحراوية فمثلاً عثر على مخلفات تنسب للحضارة الكبارية في واحات الكوم، وتدمر، ويبرود، وجيرود ومنطقة وادي الفرات في سورية. أما في جنوبي بلاد الشام، فعثر على موقع لهذه الثقافة في حوض الأزرق، خاصة موقع الخرانة[4] .

---

[1] خزعل الماجدي: المرجع السابق، ص 31.

[2] الحائزة على رتبة الإمبراطورية البريطانية وزمالة الأكاديمية البريطانية، كانت عالمة آثار إنجليزية تخصصت في العصر الحجري القديم، شغلت منصب بروفيسور في علم الآثار بدرجة ديزني في جامعة كامبريدج من عام 1939 إلى حتى عام 1952.

[3] S. Muhesen: Op cit, p261.

[4] خزعل الماجدي: نفسه ،ص 32.

الشكل 6: أدوات صوانية كبارية من موقع الخرانة/ المرحلة C/ بادية الأردن.

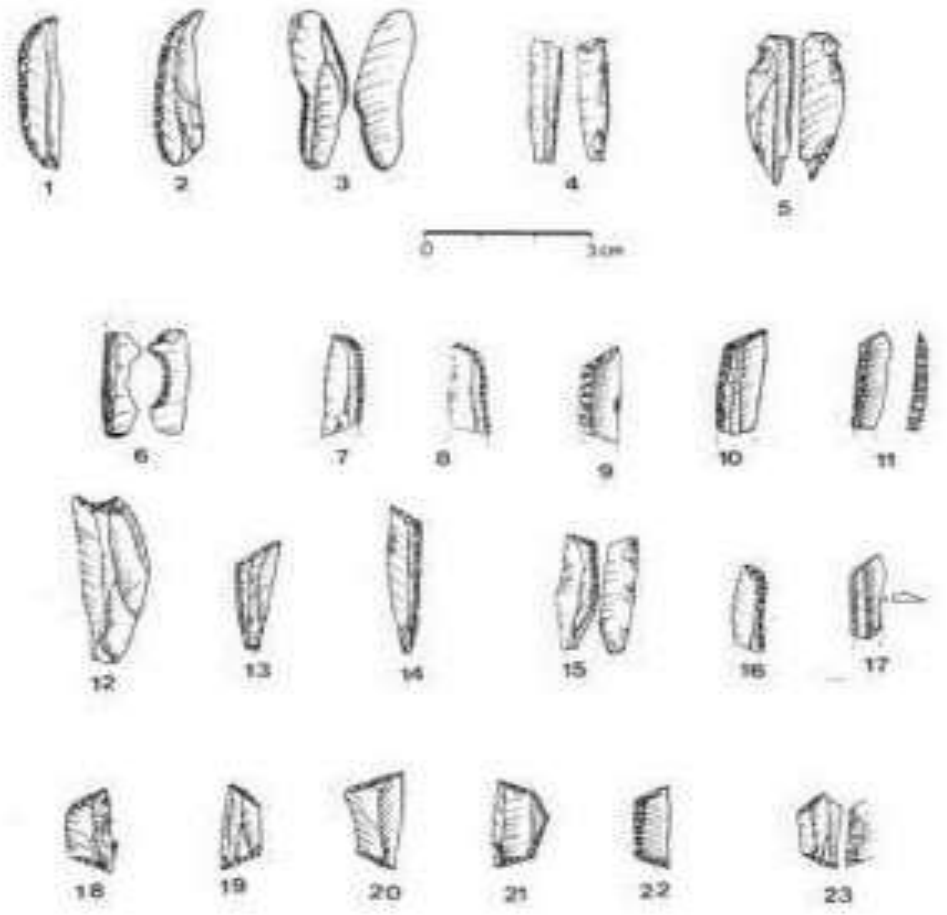

المرجع ، زيدان عبد الكافي ، المرجع السابق، ص 102.

وفي وادي جيلات ووادي الحمة ووادي الحسا ووادي المدمغ(الأردن)،وفي صحراء النقب (فلسطين) وفي سيناء بمصر؛ ومن الملاحظ أن معظم المواقع وجدت بالقرب من مصادر المياه الدائمة، وجاءت مساحاتها صغيرة جداً على شكل مخيمات أقام الناس فيها لفترة قصيرة من الوقت[1] .

أما توزع مواقع الكبارية الهندسية أي المرحلة الثانية من هذه الحضارة، فوق المنطقة الممتدة من سلسلة جبال لبنان الشرقية في الغرب إلى بادية الشام في الشرق، وعثر عليها أيضاً في مناطق رأس النقب، وفي منطقة الحسمى بجنوبي الأردن، والخرانة، ووادي جيلات في

[1] الياس شوفاني: المرجع السابق، ص 22.

صحراء الحماد الأردنية، ولكن للأسف لم تجرى تنقيبات أثرية إلا في قليل من المواقع، منها نهر الهمل الواقعة على جدول يصب في نهر الفرات في سورية[1]، وهو موقع صغير في مساحته التي لا تتجاوز 200م^2، والذي عثر فيه على أدوات صوانية ، دون أن يعثر على أية مخلفات بنائية، مثل الأرضيات، كما نقب في مواقع سورية أخرى مثل مغارة يبرود 3 وجيرود، ويبدو أن واحة الكوم التي تبعد حولي 100 كلم شمال شرقي مدينة تدمر تتمتع بغطاء نباتي وحيواني جيد خلال الثقافة الكبارية بالإضافة لتوفر مصادر المياه الدائمة، وخامات الصوان، مما دفع الناس للقدوم إليها والبقاء فيها لفترات متفاوتة وفي أماكن مختلفة، وقد عثر في هذه الواحة على عدد من المواقع الكبارية، منها عين الجوال وعين البحري وعين القبيبة ، وهي مواقع صغيرة المساحة، أقام فيها الناس لفترة قصيرة من الوقت، كما أن هناك مواقع أكبر مساحة مثل تل عريفة، حيث أن الأدوات الصوانية الكبارية تنتشر فوق مساحة تبلغ حوالي 5000 م^2، لكن هذه المواقع لا تشكل موقعاً واحداً إنما عدة محطات أقام فيها الناس لفترة من الوقت في الموقع ذاته تراوحت مساحة الواحدة ما بين 500 .1200 م^2. ويبدوا أن الناس تحركوا في المنطقة ذاتها لكن في أماكن مختلفة منها حسب فصول السنة[2].

كذلك تم التعرف على مواقع ذات وضيفة أخرى، فلم تكُ مجرد مكان أقام فيه الناس بعض من الوقت لأكل طريدتهم، إنما أقامت فيها جماعة من الصيادين وجامعي القوت لمدد متفاوتة، قد تطول، أو تقصر، وقاموا خلال إقامتهم بتصنيع أدوات لهم، ومثل هذا الموقع يعرف لدى دارسي ما قبل التاريخ باسم "المخيمات الثابتة" مثل موقع أم التليل في سورية؛ ومن المواقع الأخرى المهمة المؤرخة للكبارية في سورية، موقع الندوية[3] .

المطلب الثالث: آثار الحضارة الكبارية

تركت لنا الحضارة الكبارية في بلاد سوريا الكبرى آثار في الكثير من المواقع والتي دلت عنها التنقيبات الأثرية، والتي بينت لنا عن طبيعة الحياة التي عاشها إنسان هذه الحضارة من

[1] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 101.

[2] I.E.S. Edwards:Op cit, p118.

[3] خزعل الماجدي: االمرجع السابق، ص 31.

مخلفات حجرية وطريقة بناء مساكنهم و دلائل على استعمال النار....ففي موقع الخرانة، الواقع على بعد 1 كلم جنوبي قصر الخرانة الأموي في حوض الأزرق، حيث كشفت فيه بقايا أكواخ و عرائش أقامها الناس في الموقع، إضافة إلى كميات كبيرة من الأدوات الصوانية، والعظام الحيوانية ، وحجارة طحن ودق وهرس، كما عثر في الموقع ذاته على مدفنين، وتعد الهياكل العظمية البشرية التي اكتشفت فيها والتي تؤرخ لحوالي 19.000 سنة من الحاضر، الأقدم في الأردن .

ولما كانت مواقع الثقافة الكبارية تتوزع في بيئات مختلفة، رأى العلماء أن الناس مارسوا نشاطات حياتية تختلف في طبيعتها حسب البيئة التي عاشوا فيها، كذلك فإنه لحالة الحل والترحال التي عاشتها المجتمعات البشرية، فإن الناس لم يصنعوا لأنفسهم أدوات يصعب حملها، بل صنعوا أدوات صوانية، وبعض أدوات الطحن والدق والهرس مما يسهل حمله، إضافة إلى الأصداف البحرية التي استخدمت حلياً[1] .

ويبدو أنه وفي حوالي 14.000 سنة من الحاضر، ظهرت أشكال وطرق تصنيع جديدة للأدوات الصوانية، أسماها العلماء (الكبارية الهندسية) وتتسم هذه الثقافة بكثرة الأدوات المصنوعة بأشكال شبه منحرف ومستطيل ومثلث، حيث تعاصر الكبارية الهندسة ثقافات أخرى، هي الموشابية والكبارية، واللتان ظهرتا في منطقتي، النقب في فلسطين، وفي شمال صحراء سيناء[2] .

وفي موقع أم التليل في سورية، عثر في أسفل الطبقات على بقايا مبنى يقرب شكله من الإهليجي، تبلغ أبعاده 5×2.6م، وبني في وسطه موقد لإشعال النار، ولفشل المنقب في العثور على أساسات المبنى الحجري، فقد افترض أن جدران الكوخ أو العريشة، كانت من المواد القابلة للتلف، مثل الأعواد الخشبية، وفي موقع الندوية 2 كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا موقد، وهذا

[1] إبراهيم معاوية: المرجع السابق، ص28.
[2] نفسه ، ص29.

يعني، وإن لم يعثر على عريشة أو كوخ في المكان، أن الناس تجمعوا لفترة من الوقت حول هذا الموقد[1] .

وقد تكونت المخلفات الأثرية المؤرخة لثقافة الكباريه الهندسية، تحديداً من الأدوات الصوانية الصغيرة ذات الأشكال الهندسية، كما عثر في بعض المواقع بالإضافة إلى تلك الأدوات العظمية وأدوات الزينة، لاسيما المصنعة من الأصداف البحرية أو على القليل من البقايا البنائية[2] .

تمتاز الحضارة الكبارية بمجموعة من المميزات الهامة التي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

1 . استخدام الأدوات الحجرية الدقيقة (المايكروليثية) إضافة إلى الأدوات الحجرية التقليدية، وظهور الأدوات الزراعية البازلتية كالأجران والمدقات والرحى لاستخدامها لتخزين وجرش الحبوب التي كانوا يقتاتون بها .

2 . نزوح الإنسان من الكهوف إلى الوديان وبنائه للبيوت الدائرية الشكل المبنية على شكل حفرة ذات جدران وأرضية من الطين والحجر وذات سقف من الجلود والأغصان، ففي النقيب على الشاطئ الجنوبي الشرقي لبحيرة طبرية أكتشف أقدم بناء معروف في بلاد الشام حتى الآن يعود بنائه إلى 14.000ق.م؛ ومن هذه البيوت البسيطة أنشأ الإنسان الميزوليتي الفلسطيني ما يعرف بـ (قرى الصيادين) .

3 . إضافة إلى صيد الحيوانات البرية كالحصان والإبل ومحاولة استئناس بعضها كالكلب والماعز والماشية اتجه الإنسان نحو صيد الأسماك، واستعمال الحبوب الزراعية كوجبة في غذائه مما جعله يجمعها ويحفظها في أوعية حجرية وداخل أمكنة خاصة.

4 . بعد أن كانت المرحلة الأولى من الحضارة الكبارية غير هندسية تطورت إلى المرحلة الثانية التي تسمى الكبارية الهندسية، حيث أصبحت أدواته الحجرية تأخذ أشكالاً هندسية واضحة[3]

---

[1] إبراهيم معاوية: نفسه ،ص 29.

[2] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 105.

[3] خزعل الماجدي: المرجع السابق، ص 31.

مثل المثلث والشبه المنحرف، وأصبحت لها قضبان خشبية أو عظمية استخدمت في صيد الطيور والأسماك؛ وظهرت أدوات جديدة كان أهمها المناجل الصوانية التي استعملت في قطع النباتات وحصاد القمح والشعير البريين .

5 . تعد الحضارة الكبارية أول حضارة شامية واسعة الانتشار انطلقت من فلسطين، فقد شملت بلاد سوريا الكبرى لها من الفرات حتى سيناء وجعلتها وحدة حضارية متجانسة أظهرت تفوقاً مادياً وروحياً واضحاً قياساً إلى مقابلها أو مثيلاتها في الشرق الأدنى[1] .

الشكل 7: تمثل أدوات كبارية.

أدوات كيبارية مايكروليثية

ıttp://www. aggsbach. de/2010/08/after-the-big-cold-kebaran-from-kebara-cave/

[1] خزعل الماجدي: المرجع السابق، ص 32.

المبحث الثاني: الحضارة الناطوفية

قبل حوالي 12.000 سنة، بدأت الثقافة الناطوفية تحل تدريجياً مكان الكبارية الهندسية في بلاد سوريا الكبرى، حيث عثر في بعض المواقع على تموضع مباشر للبقايا الناطوفية، فوق تراكمات الثقافة الكبارية الهندسية، كما هو الحال في موقع وادي الفلاح والخيام في فلسطين[1] .

المطلب الأول: التعريف بالحضارة الناطوفية

دُعيت هذه الحضارة بالناطوفية نسبة إلى وادي (الناطوف)شمال غربي القدس الذي حوت فيه مغارة (شقبة)آثاره المتميزة، حيث قامت الباحثة الإنجليزية (دوروتيا جارود) في عام 1928، حيث عثر على أدوات صوانية تختلف في شكلها وحجمها وطرق صنعها عن المراحل السابقة[2].

لقد انطلقت هذه الحضارة من فلسطين، وتحديداً من الجبال المحيطة بالقدس فعمت غور الأردن أولاً ثم وصلت إلى سواحل المتوسط وزادت رقعتها فشملت بلاد الشام كلها؛ وتبرز أهمية الثقافة الناطوفية بأنها تمثل حلقة وصل بين الجماعات الصيادة والجامعة للقوت من جهة، والجماعات المنتجة له من جهة أخرى وهي بهذا تشكل المعبر الذي سارت عليه مجتمعات بلاد الشام نحو عالم الاستقرار، والإنتاج، وتأسيس قرى زراعية يقيم فيها الناس طيلة أيام السنة. لذا، نجد أن كثيراً من الباحثين قد ركزوا أبحاثهم حول هذه الفترة علهم يكشفون طبيعة التطورات والعوامل التي أدت إلى تلك التحولات الاقتصادية والاجتماعية وتؤكد بهذا الصدد أن الانتقال كان تدريجياً[3] .

المطلب الثاني: الأدوات الحجرية

كان البشر الذين عاشوا في عهد تلك الحضارة من عرق أقصر قامة من العرق الذي عاش في عهد الحضارة السابقة، كما أنهم كانوا نحاف الجسم مستديري الرؤوس يشبهون إنسان العصر البرونزي الحجري الذي وجدت آثاره في بيباوس (جبيل) والمصريين الذين عاشوا في عصر ما قبل السلالات، ويبدوا أنهم كانوا من أفراد العرق نفسه الذي انتسب إليه الحاميون فيما

---

[1] أحمد داوود: تاريخ سورا القديم، منشورات دار الصفدي، ط3، دمشق، 1424هـ . 2003م، ص 151.

[2] عبد اللطيف أحمد علي: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، طبعت بكتب كزيدية أخوان بيروت، 1971، ص 61.

[3] أحمد داوود: المرجع نفسه، ص 152.

مواقع الثقافة النطوفية في فلسطين

kipedia. org/wiki/Natufian_culture

الخريطة3: مواقع الثقافة الناطوفية في فلسطين .

بعد[1]، حيث كانت صناعته تكثر فيها العظام المشغولة والمحفورة ورؤوس السهام التي لها فرضة، والأدوات كانت من النوع الصغير أو(الميكروليثي) وهذا من مميزات العصر الحجري الوسيط[2] .

استخدم الناطوفيون خامات ومواد متعددة في صناعة ما يحتاجونه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأدوات الصوانية بقيت هي السائدة، ونذكر من هذه الصناعات الأدوات العظمية المزخرفة، وأدوات الطحن ، الدق والهرس المصنوعة، غالباً، من حجارة بازلتية، و المناجل (وهي أدوات مركبة من قرون الحيوان، والشفرات أو النصلات الصوانية المثبتة بالقار) .

على الرغم من أن الأدوات الصوانية كثيرة كانت صغيرة جداً، كما مثيلاتها في الكبارية، إلا أن أشكالها تختلف مع شيوع الشكل الهلالي ، ويستدل من التنوع في الشكل والحجم والتقنية على وظائف هذه الأدوات، وتعدد النشاطات الإنسانية. فمثلاً، اقترح بعض الباحثين أن الأدوات الصوانية الهلالية والصغيرة جداً والتي عثر على مجاميع منها في مواقع المريبط و أبو هريرة وعين الملاحة والواد وظهرة الذراع وغيرها، استخدمت رؤوس للسهام بعد تثبيتها بأشكال وهيأت مختلفة بمقابض ربما تكون أعواداً من الخشب، كما تبين أن المناجل التي اكتشفت في وادي الحمة 27 في الأردن، والتي صنعت من نصلات صوانية صغيرة ثُبتت داخل أخدود حفر في قرن حيوان قد استخدمها الناس في حصاد الحبوب البرية[3] .

جاءت أدوات الدق والهرس الناطوفية متنوعة ومختلفة في أشكالها وماهيتها، ففي المواقع الثابتة والكبيرة، مثل وادي الحمة27، عثر المنقبون على عدد كبير من الهاونات و المدقات، والمساحن، والصحون البازلتية وجاءت بعض أيدي المدقات ذات نهاية في بعض طرفيها بشكل العضو الذكري، بينما هناك حجارة بازلتية حفرت في وسطها أخدود ربما استخدمت لشحذ الأدوات الصوانية[4] .

---

[1] فليب حتى: المرجع السابق، ص 15.

[2] عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 62.

[3] Akkermans, P: Op cit, p 37.

[4] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 111.

المطلب الثالث: تدجين الحيوانات

تعتبر هجرة الحيوان للمناطق العشبية التي احتواها الجفاف والصحاري إلى مجاري الوديان والأنهار (بالقرب من مصادر المياه) حيث يعيش الإنسان قد ساعدت على استئناس الحيوان[1] ،ويقدم لنا اكتشاف جمجمة كاملة تقريباً لكلب كبير في طبقات أحد كهوف الكرمل، أول برهان عن تدجين الحيوانات، وهذا حادث له أهمية بالغة في سير الإنسان نحو الحياة المتمدنة، وقد دجن الكلب حين كان الإنسان صياداً وفيما سوى فائدة الكلب في الصيد والحراسة فإنه كان أول جامع للنفايات وفضلات الطعام، واكتشفت أشكال نذرية من الطين تمثل حيوانات داجنة كالبقر و الماعز والغنم والخنازير في أريحا تعود إلى أواخر الألف السادسة ق.م، ويحصل تدجين الحيوانات عادة بينما يكون الإنسان في حالة البداوة ولذلك فإنه يسبق ممارسة الزراعة[2] .

الشكل 8:أدوات صوانية ناطوفية من موقع عين راحوب / الأردن

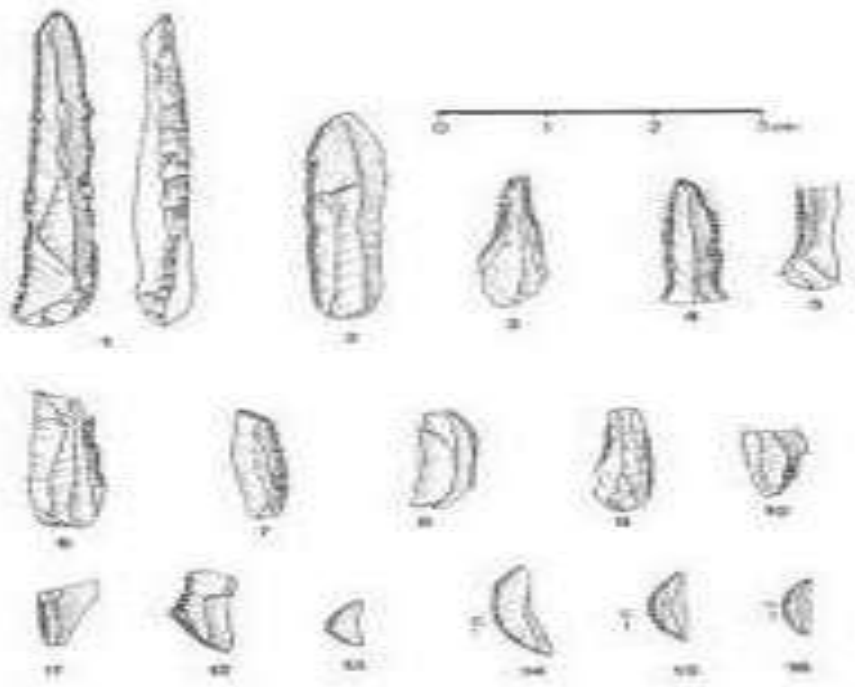

[1] محمد رشدي جراية: الصحراء خلال العصر الحجري الحديث 6100 ق.م- 1000 ق.م ،مذكرة ماجستير في التاريخ القديم ، إشراف ، عبد العزيز بن لحرش ،جامعة قسنطينة ،2007 -2008 ، ص39.

[2] محمد السيد غلاب و يسرى الجوهري: الجغرافيا التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1975، ص 314.

الشكل 9:منجل من وادي الحمة 27 / الأردن .

المرجع ، Akkermans,P.M.M.G. and,Schwartz,G.M: Op cit, p 38

المطلب الرابع: الزراعة

وعندما كان الإنسان صياداً فإن حركاته كانت تمليها حركات الحيوانات البرية التي كان يسعى وراءها لأجل الغذاء، وفي مرحلة حياة الراعي عندما حصل تدجين الحيوانات ظل الإنسان منتقلاً ولكن مع هذا الاختلاف، وهو أن حركاته كان يمليها عليه بحثه عن المراعي الخضراء لأجل قطعانه، غير أن الحضارة الناطوفية شهدت في أواخر العصر الحجري الوسيط أو ربما في أوائل العصر الحجري الحديث بدء مرحلة أخرى اتجهت نحو حياة الاستقرار، وكان لها تأثير أثبت على الإنسان وهذه المرحلة هي ممارسة الزراعة[1] .

وقد كانت سورية موطن الحشائش التي يمكن تدجينها، فالقمح والشعير البريان ينموان بصورة طبيعية في سورية الشمالية وفلسطين، والمناجل الصوانية وسائر الأدوات التي تركها النطوفيون بكميات كبيرة تظهر أنهم ومعاصريهم في سورية الشمالية كانوا أول من مارس شكلاً من أشكال الزراعة في الشرق الأدنى[2] .

[1] محمد السيد: المرجع السابق، ص 117.

[2] أحمد داوود: المرجع السابق، ص 156.

المطلب الخامس: الاستقرار والمسكن

تنقل الناطوفيون بين الأماكن حسب فصول السنة. أو ربما طيلة أيام السنة، ويميل الباحثون إلى الاعتقاد أن السبب في النزوع نحو الاستقرار الدائم في بقعة واحدة خلال الثقافة الناطوفية يعود إلى تحسن الأحوال المناخية التي ساعدت على توفر النبات والحيوان في المكان ذاته، طيلة أيام السنة، مما أدى إلى مكوث الناس حيث تتوفر أسباب معيشتهم، فأصبح لا حاجة لهم للترحال. ويبدو أن معرفة الناس لخزن الحبوب البرية في المكان ذاته الذي تنبت فيه، كان أيضاً عاملاً آخر من عوامل الاستقرار الدائم[1] .

تبين للباحثين أن ثمة سمات عامة مشتركة بين المجتمعات الناطوفية في بلاد الشام، فمثلاً هناك تشابه في الشكل وطرق تصنيع الأدوات الصوانية، وفي شكل البناء المستدير، علماً أن بعض الناس لجوءا إلى الكهوف والملاجئ الصخرية؛ وقد عثر على مساكن مستديرة في موقعي المريبط و أبو هريرة في سورية، وعين الملاحة و وادي الفلاح في فلسطين، وفي وادي الحمة وظهر الذراع في الأردن، واستخدم الناس في جنوبي بلاد الشام الحجارة واللبن مادة للبناء، بينما لوحظ أن ناطوفيي وادي الفرات قد استخدموا في ذلك الأشجار وأعوادها، كما زودت البيوت بمواقد للنار، وحفر لخزن الحبوب[2] .

قدر المنقب عدد البيوت المكتشفة في عين الملاحة بحوالي خمسين منزلاً تراوح عدد ساكنيها بين 200–300 شخص، وجاءت هذه المنازل مبنية بشكل متلاصق أو قريب جداً من بعضها، مما يشير إلى وجود علاقات قوية بين أفراد المجتمع الواحد، مع العلم أنه لا يجوز تعميم حالة موقع واحد على مرحلة أو ثقافة استمرت لمدة تقرب من ألفي عام. ولكن يبقى مؤشراً على وجود تطورات اجتماعية[3] .

---

[1] رمضان عبده على: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج2،(الأناضول . بلاد الشام)، دار نهضة الشرق، ط1،القاهرة، 2002،ص226.

[2] إبراهيم معاوية: المرجع السابق، ص 33.

[3] عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص 41.

الشكل 9:أدوات دق وسحق من وادي الحمة 27 /الأردن .

الشكل 10: موقد حجري داخل منزل في عين الملاحة / فلسطين .

المرجع ، زيدان عبد الكافي كفافي، المرجع السابق، ص 107 -108.

المطلب السادس: الحياة الفنية والروحية

أ) الفن: مارس الناطوفيون فنوناً مختلفة، ومثال ذلك أنهم نحتوا أشكال بشرية وحيوانية في الحجر والعظام يمكن اعتبارها من أقدم أمثلة النحت في الشرق الأدنى القديم، كما عثر على الخرز والدلايات التي صنع بعضها من الأصداف، وفي أحيان كثيرة، جمع الناس خرزات بخيط واحد، لتوضع تاجاً على الرأس، أو تضاف إليها دلاية، فتلبس عقداً على الرقبة، أو تكون سواراً على المعصم، وقد عثر على أمثلة منها في عدد من المدافن، مما يشير إلى رفعة الشأن الإجتماعي للشخص المدفون،[1] وقد وجد في أحد كهوف الكرمل رسم رأس ثور حفره إنسان العصر الميزوليتي في العظم، ولما كان الإنسان يشعر بالقوى المحيطة به ويعلم مقدار عجزه

[1] Akkermans,P: Op cit, p 30.

فإنه وضع نظاماً سحرياً عززه بتمائم من العظم والحجر والنمس، والقطع المحفورة في العظم أو الحجر من العصر الناطوفي كثيرة وأحسنها تمثال صغير لغزال مصنوع من قطع عظم[1] .

ب) الحياة الروحية: وفي مجال الاعتقاد في العالم الآخر عثر على عدد من المقابر الفردية والجماعية التي تؤكد اعتقاده في الحياة الأخرى، فقد لوحظ تغطية الهيكل العظمي للمتوفي بالكتل الحجرية، وهذه الظاهرة تمثل مرحلة مبكرة للغاية من مراحل المحافظة على المتوفي وتطورت فيما بعد إلى تخصيص بناء علوي للمقبرة، ومن الأهمية الإشارة إلى ظاهرة ذر التراب الأحمر بموضوع الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر[2].

فلقد اعتقد الإنسان في هذا العصر بوجود آلهة وكان لتربية المواشي و ممارسة الزراعة أثره في جعل الديانة أكثر تعقيداً وصاروا يفضلون الآلهة التي تهتم بالحقول والمواشي، على الأرواح التي يعتمد عليها الصيادون[3]، ويذكر فليب حتى أنه يظن أنه في مرحلة الرعي كان الناس يعبدون إله القمر الذي كان أكثر نفعاً وتلطفاً من الشمس، وكان القمر يبدد رهبة الظلام و يأتي بالبرودة التي يمكن للقطعان أن ترعى فيها براحة. ولذلك فإنه كان صديق الراعي أكثر من الشمس، ويرجح أن يكون المعبد الذي وجد في أريحا يرجع إلى أواخر الألف السادس قبل الميلاد قد كرس للإله القمر[4]، وتحاول الأستاذة كينون[5] الربط بين هذا المعبد الناطوفي وبين موضوع تقديس الماء، ونظراً لوجود حريق في هذا المعبد فقد استخدمت بعض الآثار المتفحمة المتخلفة عن الحريق في التاريخ بواسطة الكربون المشع ونتج عنها التقويم الزمني حوالي7800ق.م[6].

---

[1] Akkermans,P: Op cit, p 30.

[2] جاك كوفان: ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، تر: سلطان محيسن، دار دمشق، ط1، 1988، ص ص30. 33.

[3] فيلب حتى: المرجع السابق، ص 19.

[4] جاك كوفان: المرجع نفسه، ص 35.

[5] كانت قائدة علماء الآثار في الثقافة ما قبل الحجرية في منطقة الهلال الخصيب، مشهورة بسبب اكتشافاتها الأثرية في أريحا في خمسينات القرن العشرين، وتعتبر أكثر عالمات الآثار تأثيراً في القرن العشرين .

[6] رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص 117. 118.

الشكل 11: مقبرة وضريح ناطوفي .

ل 1): ضريح نطوفي قديم في أريحا تمثل الفجوات المستديرة على الأرض المطلية بالجص حفراً للتخزين، الجاروشة دليل إعداد الأغذية النباتية وعلى زراعتها في الألف التاسع ق. م

مقبرة نطوفية في كهف الكرمل

http://www. archeolog-home. com/pages/content/carmel-caves-israel-prehistoric-men-held-wakes-for-the-dead. htm

الفصل الثالث: سوريا الكبرى في العصر الحجري الحديث (النيوليتي)

المبحث الأول: العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري

المبحث الثاني: العصر الحجري الحديث الفخاري

تمهيد:

يبدأ العصر الحجر الحديث (النيوليت)عندما بدأت ملامح الحضارة الناطوفية بالتغير والانتقال التدريجي نحو اكتشاف الزراعة كان اكتشاف الزراعة أعظم منعطف للبشرية منذ ظهورها لأنه حول الإنسان من مستهلك للغذاء إلى منتج للغذاء، وفصل تدريجياً عن نمط العيش الحيواني وعن النوم الكسول في رحم الطبيعة والتقاط ثمارها، فكأنه كان جنيناً داخل رحمها وكأن الزراعة كانت بمثابة ولادته الحقيقية[1] .

ويسمى هذا العصر بعصر(الفلاحون الأوائل) في بلاد سوريا الكبرى، حيث تعد(كاثولين كنيون) أول من قسم العصر الحجري الحديث[2] إلى فترتين رئيسيتين، هما: ما قبل الفخار والفخاري ثم قسمت كل فترة إلى مرحلتين فرعيتين هما (أ) و(ب). والمرحلة(أ) هي بطبيعة الحال أقدم من (ب)، حيث دام هذا العصر نحو ألفي سنة اعتباراً من عام 6000ق.م[3] .

وتشير الدراسات المختصة بالعصر الحجري الحديث إلى أن أقدم القرى الزراعية في بلاد سوريا الكبرى عثر عليها في حوض الفرات الأوسط، وفي أريحا بغور الأردن[4]، إلا أنها لم تبقى على حالها فقد تطورت القرية بمرور الزمن لتشغل مساحة بلغت في بعض الأحوال حوالي (15هكتاراً)،كما أن سكان القرى الأولى كانوا صناعاً مهرة، واستخدموا أنواعاً مختلفة من المواد الخام لصنع ما يحتاجونه، كذلك شهدت الآثار المكتشفة في بلاد الشام على تقدم فكري، وتطور اجتماعي واقتصادي مع مرور الوقت، حتى وصلت القرية في النهاية إلى البلدة، ثم إلى المدينة، ولم يتوقف إنشاء القرى الزراعية عند حدود منطقة معينة، بل نراها تنتشر بمرور الزمن

[1] خزعل الماجدي: المرجع السابق، ص

[2] Miriam C. Davis: Dame Kathieen Kenyon, Digging Up the Holy Land, left coast prees, California, 2008,p120.

[3] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 120.

[4] جاك كوقان: الألوهية والزراعة، ثورة الرموز في العصر النيوليتي، تر: موسى ديب الخوري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999، ص 67.

في غالبية مناطق سوريا الكبرى، وهذا مؤشر على تفاعل الناس مع البيئة المحيطة بهم، وعلى قدرتهم في السيطرة عليها[1] .

المبحث الأول: العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري

المطلب الأول: ما قبل الفخاري (أ)

1. السمات العامة: ما يميز سمات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري(أ) أن الزراعة لم تكن الأساس الوحيد للعيش، إذ بقي الصيد يؤدي دوراً كبيراً في حياة الناس والدليل على هذا التطور الأدوات التي استخدمت في صيد الحيوانات لتصبح أكثر فعالية، خاصة القوس و النشاب فكانت رؤوس السهام بأشكالها المختلفة[2] .

الشكل12:بقايا بيت ناطوفي من عين الملاحة / فالسطين .

[1] عبد اللطيف أحمد: المرجع السابق، ص 64.

[2] Avi Gopher: Arrowheads of the Neolithic levant, Eisenbrauns winona lake, Indiana, 1994,p123.

الشكل13: رؤوس سهام من مختلف فترات العصر الحجري الحديث .

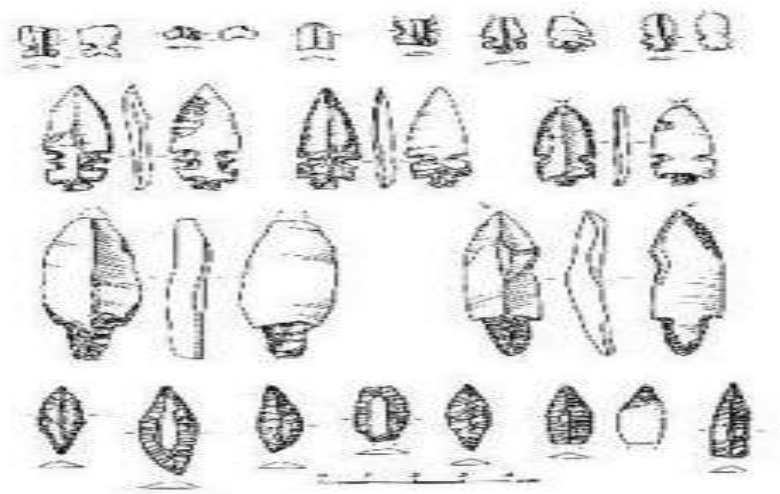

المرجع ، .Avi Gopher, Oo cit, p 55

بنو الناس منازلهم بالطرق البنائية ذاتها التي كانت متبعة خلال الثقافة الناطوفية فلم تخرج بيوتهم على الشكل الدائري، وتكونت الوحدة المنزلية من غرفة واحدة فقط، أنشئت على أساسات مبنية تحت مستوى سطح الأرض، وقد عثر على أمثلة من هذا الطراز في مواقع متعددة[1]، منها الجرف الأحمر والمربيط الشيخ حسن وتل العبر (في حوض الفرات الأوسط)، وتل أسود، وفي أريحا ووادي بكر وجلجال 1 بفلسطين، ووادي الفلاح، ووادي الفينان16، والذراع، وظهرت الذراع (جنوبي الأردن)، ولكن هناك خصوصية في بعض المناطق، مثل المربيط والجرف الأحمر، حيث تقطيعات داخلية في الغرفة الواحدة[2] .

أما عن الأدوات التي استخدمها إنسان هذا العصر باختلاف أنواعها وأشكالها، والمواد الخام التي صنعت منها؛ يقول الباحثون في هذا الصدد أن هناك بعض هذه الأدوات الصوانية في الفترة 9.500 إلى 9.000 ق.م نسبت لثقافة أخرى سميت الثقافة الخيامية (نسبة إلى مدينة الخيام قرب بيت لحم في فلسطين)، حيث عثر عليها لأول مرة، حيث تمتاز هذه الأدوات (الخيامية) برؤوس السهام المصنوعة على نصلات (شفرات)، أو على شفرات صغيرة ذات نهاية مقعرة وندبة على كل جانب ويرى العلماء أنها لا تخص المزارعين وإنما تخص الصيادين

[1] اكيرا تسونيكي: أهمية الآثار السورية في تاريخ العالم،سورية في عصور ما قبل التاريخ، تر:ساري جمو، شركة مايدا للطباعة المحدودة، اليابان، 2018، ص 10.

[2] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 122.

الذين استخدموها مخيمات لهم في تلك المناطق ولم يجدوا في هذه المناطق على بقايا عمائرية[1].

أما عن أدوات هذا العصر فلقد ذكر العلماء أن أنواع الأدوات التي كانت خلال الثقافة الناطوفية استمرت خلال هذه المرحلة وهي المرحلة الأولى من العصر الحجري الحديث، ولكن إنسان هذا العصر أدخل على تلك الأدوات تعديلات تكون ملائمة وحاجة الزراعة والمزارع؛ فصنع أدواته من الحجارة بأنواعها الصوانية، والبازلتية، والجيرية، والرملية ومن خامات السبج (الأوبسيديان) ومن العظام ومن الصلصال، كما صنع من الأصداف البحرية حلياً ومجوهرات[2].

أما عن الناحية الفكرية خلال هذا العصر، مارس بعض الناس أنواع متعددة أنواع من الفنون، حيث عثر في جعدة المغارة على رسومات جدارية تعود للمرحلة(أ)، وعثر في جرف الأحمر على حجارة حفرت فيها أشكال حيوانية وهندسية غائرة ، وفي أريحا عثر فيها على دمى طينية[3] .

2 . موقع أريحا: كان موقع أريحا أول وأقدم قرية زراعية تكتشف في بلاد الشام، حيث قام عدد من الباحثين بالتنقيب في موقع تل السلطان/أريحا ظناً منهم أنه الموقع المذكور في التوراة، ليس هناك أي انقطاع في التقاليد الناطوفية عبر تطورها من مستوطنة في العصر السابق إلى قرية نيوليتية، ولقد عثر على غرف لخزن الحبوب وبقايا حبوب متفحمة، وأما فيما يتعلق بتدجين الحيوانات يقول الباحثون أن ليس هنالك أي دليل على ذلك، وربما يكون صيد الغزلان قد وفر للسكان في أريحا زادهم من اللحم[4].

[1] Akkermans,: Op cit, p48.

[2] Avi Gopher: Op cit, Pp 52-69.

[3] جاك كوفان: الأولهية والزراعة ثورة الرموز في العصر النيوليتي، المرجع السابق، ص 73.

[4] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 124.

الشكل 14: بيوت من العصر الحجري الحديث من جرف الأحمر / سورية .

الشكل 15: حجر حفرت فيه أشكال هندسية وأشكال طيور وحيوانات خرافية من جرف الأحمر

المرجع ، أكيرا تسونيكي ، المرجع السابق ، ص 10 .

تتألف مدينة أريحا من بيوت دائرية الشكل مبنية من قرميد طيني ذي شكل مقوس، وهذه البيوت المبنية على أساس من حجر وهذا ما يشكل تطور واضحاً بالمقارنة مع الأكواخ المهلهلة في الفترة السابقة[1]، أما أرضية البيوت فكانت دون مستوى الأرض في الخارج ويتم النزول إليها

[1] عفيف البهنسي: الشام الحضارة، وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1986، ص 104.

عبر باب له عظادة خشبية نزولاً لبعض درجات، تتألف معظم بيوت من غرفة واحدة دائرية أو بيضوية الشكل يتراوح قطرها مابين4-5 أمتار وتغطي الغرفة قبة مصنوعة من القصب والجص الطيني أما جدرانها وأرضيتها فهي مغطاة بالجص أيظاً[1] .

أما الأبنية الأكثر اتساعاً فكانت تتكون من ثلاث غرف، لم تكن المدينة محصنة في البداية، وعندما نمت الثروة نتيجة الاستقرار الطويل، أصبحت أسوار المدينة ضرورية للحماية، حيث كانت هذه التحصينات تتكون من خندق دفاعي محفور في الصخر بعرض ثماني أمتار ونص وبعمق يزيد عن المترين، وضمن الخندق المحفور في الصخور بني سور من الحجارة بسماكة 1.64م وبارتفاع 3.94م[2] .

وتم العثور ضمن الحفريات على برج دائري ضخم مصنوع من الحجر وصل إلى ارتفاع (15.8م) وللبرج درج داخلي يؤمن الوصول إلى القمة، يتكون هذا الدرج من ثماني وعشرين درجة من الحجارة المصنوعة من بلاطات عرض كل منها متر، ويوجد في أسفل هذه الدرجات ممر بطول 3.94م ويؤدي إلى باب ارتفاعه (1.70م) عند الطرف الشرقي من البرج، كما توجد تصرف الماء من قمة البرج إلى سلسلة من حظائر مبنية في الجانب الشمالي للبرج، أما الحظيرة الموجودة في الجانب الجنوبي فقد كانت معدة لخزن الحبوب[3] .

إن إقامة مثل تلك المباني الكبيرة في موقع تل السلطان/أريح، خلال المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث، تتطلب تضافر جهود جماعة كبيرة من الناس مما يشير إلى مجتمع منظم، وربما سلطة[4] .

المطلب الثاني: ما قبل الفخاري(ب)

لقد انتشرت في حوالي الألف السابعة قبل الميلاد حضارة جديدة لم تكن تعرف استعمال الفخار وذلك من الشمال إلى وادي الأردن ويمكن التعرف على هذه الحضارة بشكل عام وأفضل

[1] جيمس ميلارت: أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، تر: محمد طلب، دار دمشق، ط1، 1990، ص 43.

[2] نفسه ،ص 43.

[3] نفسه، ص 44.

[4] Helga Weippert: Palastina In Vorhellenistischer Zeit, C.H.Beck' sche verlagsbv chhandlung, Munchen, p110.

الشكل16: برج من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) في أريحا /فلسطين.

المرجع ، زيدان عبدالكافي كفافي ،المرجع السابق ، ص 125.

من خلال مدينة أريحا[1]، يمكن تحديد زمن وصول هذه الحضارة من خلال فترة الانقطاع التام للتقاليد الناطوفية .

حيث يذكر الباحثون أنهم لم يحدثوا أي تغيير في الاقتصاد الذي بقي مبنياً على أساس الزراعة وتدجين الحيوانات كالماعز والكلب والقط مدعوماً بما يقدمه صيد الغزلان في أريحا والتيس الجبلي والطيور والحجل في البيضا[2] .

أما في مجال الصناعة الحجرية فإن رؤوس السهام وبعضها كان له ساق وكذلك نصال المناجل الطويلة هي نماذج بهذه الصناعة، كما وكانت المثاقب شائعة بشكل خاص أما المكاشط فقد بقيت نادرة، كانت الصناعة هي الصناعة الطاحونية وكان الصوان المتوفر في فلسطين والأردن هو المادة الرئيسية لهذه الصناعات .

الظاهرة الجديدة هي الجاروشة اليدوية البيضوية المفتوحة بشكل ضيق من أحد جوانبها، وذلك ظهور الآنية والأطباق المصنوعة من الكلس لأن الفخار لم يكن معروفاً في ذلك الوقت ولقد أمكن التأكد من وجود صناعة حصراً مستديرة استعملوها في غرف مستطيلة، إن هذا الأمر يمثل بقية من التراث القديم حيث كانت البيوت دائرية الشكل[3] .

أما عن فن العمارة في ذلك العصر حيث أن المستوطنات قد أصبحت أكبر حجماً من سالفتها مزودة بتحصينات على شكل أسوار مبنية من كتل كبيرة ، وقد عثر في بعض الأماكن على مالا يقل عن (26) أرضية جصية بعضها فوق بعض، كانت البيوت مبنية على بلاطات ويظهر على السطح العلوي للبلاطة آثار بصمات أصابع، كانت الأساسات الحجرية شائعة جداً وكانت الجدران والأرضيات مكسوة بالجص وكان الجص الكلسي مدهوناً باللون الأحمر، أما المواقد فقد كانت على شكل أحواض مستطيلة عميقة ومحددة بالجص، كانت مداخل الغرف واسعة ومزدوجة و عظدات الأبواب دائرية الشكل، أما الأفران والمواقد فقد وجدت في الباحات

[1] رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص 136.

[2] سونيا كول: ثورة العصر الحجري الحديث، تر: تقي الدباغ وسعدي الدبوني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط3، بغداد،1988، ص ص 24.19.

[3] الياس شوفاني: المرجع السابق، ص 24 –25.

التي كانت تتم فيها الاتصالات بين الناس بدلاً من الشوارع، وقد لوحظ وجود عدة أبنية مصممة على شكل الأضرحة وأبسط شكل لها يتكون من غرفة واحدة لها كوة خلفية يمكن أن توضع فيها بلاطة ذات نقش تذكاري[1] .

أما عن التماثيل الصغيرة فقد وجدت بقايا تمثال ضخم في أريحا ربما يمثل أحد التماثيل الدينية في المعابد، وفي عام 1935 وجد جون غارسنغ أجزاء مجموعتين من التماثيل مجسمة ومصنوعة من الفخار ضمن أوان أورزم من القصب ومدهونة باللون الأحمر، ولقد ظن جون أنها ذكر وأنثى وطفل، تماثيل بالحجم الطبيعي ولكن رسم رأس تمثال واحد منها فقط، أما كاثلين كينون فقد عثرت على رأس من الجص وتمثالاً نصفياً بالحجم الطبيعي تقريباً وهو أكثر دقة من السابق، من جهة أخرى فقد وجدت مالا يقل عن عشرة جماجم بشرية ذات ملامح مصنوعة من الجص بشكل يحوز على الإعجاب وقد وضعت ودعات صفراء مكان العينين، إن هذه التماثيل تعطي صورة واضحة عن شكل السكان في أريحا في تلك الأيام، ولقد عثر في البيضا على هياكل منحنية وكانت الرؤوس مقطوعة لأغراض دينية[2] .

الشكل17: تمثل جماجم من العصر الحجري الحديث، محشوة بالطين.

شكل (7) جماجم منفصلة عن أجسادها ومحشوة بالطين عُثر عليها في أريحا (نيوليت ما قبل الفخار).

http://www. crystalinks. com/jericho. html

[1] جيمس ميلارت: المرجع السابق، ص 52.

[2] جيمس ميلارت :المرجع السابق: ص 56.

المبحث الثاني: العصر الحجري الحديث الفخاري

عرفوا الناس خلال الفترة التي سبقت شيوع استخدام الآنية الفخارية، الصلصال واستخدموه لأغراض متعددة، مثل صناعة المواقد والدمى...حيث يذكر بعض العلماء أن سكان شمالي بلاد الشام عرفوا صناعة الفخار قبل غيرهم من سكان هذه البلاد، وأن الآنية الفخارية ذات اللونين الأسود والأحمر، والمصقولة صقلاً عالياً لدرجة اللمعان، والتي عثر عليها في تل أسود على نهر البليخ في الجزيرة السورية العليا، والمؤرخة لمنتصف الألف السابعة قبل الميلاد، هي الأقدم بين غيرها من المجموعات ويرون أن صناعة الآنية الفخارية انطلقت من هذه المنطقة في الاتجاهات المختلفة نحو بلاد الرافدين والأناضول وجنوبي بلاد الشام[1] .

قامت بعثة أمريكية بإشراف روبرت بريد وورد بإجراء مسوحات وتنقيبات أثرية في منطقة سهل العمق بشمال غربي سوريا، حيث كشف عن بقايا أثرية تؤرخ لبداية الألف السابع قبل الميلاد، ودلت الأبحاث الميدانية على أن هذه المنطقة شهدت استقراراً دائماً مع بداية معرفة صناعة الآنية الفخارية فيها، وعثر على مجاميع من الآنية المصنوعة باليد والقاتمة اللون والمصقولة، كما أضيفت إلى سطوح الآنية طبقة رمادية أو بنية اللون وأطلق الدارسون على هذا النوع من الفخار (الفخار الأسود) وعدوه أقدم أنواع الآنية الفخارية، وأرخوه لحوالي 6000ق.م وأطلق عليه اسم العمق (أ)، وتكونت أشكال الآنية من الجرار، والكؤوس، والأباريق وقد عثر على ما يشابههما في رأس شمراVB، وفي تل الرماد 3[2] .

ومع نهاية الألف السابع قبل الميلاد، تحولت البيوت المستطيلة الشكل إلى مستديرة، تراوح قطر الواحد منها بين 1.3 إلى 3.8م، وجاءت مبنية من الحجارة، وطليت جدرانها من الداخل بطبقة من الجص الأبيض، واستنتج الباحثون في منطقة حوض الفرات الأوسط ومنطقة الجزيرة بأن عدد المستقرات البشرية وكثافتها، كانت عموماً خلال فترة العصر الحجري الحديث الفخاري أقل من عدد مثيلاتها في فترة ما قبل الفخار[3].

[1] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 140.

[2] إبراهيم معاوية: المرجع السابق، ص 42.

[3] Redford , Donald .B: Egypt , Canaan and Israel in Ancient Times, Princeton(N.J), 1992 , p13.

الشكل 18: وعاء فخاري مصقول قاتم اللون من جبيل .

المرجع ،أكيرا تسونيكي ، المرجع السابق ،ص 11-12.

ولا بد من تباين أنه على الرغم من التواصل الحضاري بين فترات ما قبل الفخاري وفترات العصر الحجري الحديث الفخاري، إلا أنه كان لكل فترة منها طابعها الذي يميزها من الأخرى، فمثلاً، اختلف تخطيط المواقع، كما أدخل الناس عناصر وأشكالاً معمارية جديدة خلال الفخاري، وحصلت متغيرات في المعتقدات، وأخيراً استخدم الناس الآنية الفخارية[1].

تعددت الصناعات الفخارية وتوزعت فوق مناطق بلاد سوريا المختلفة، واختلفت كل صناعة عن الأخرى في تاريخها، وشكلها، وزخرفتها، وحتى في تطور طريقة الصنع أحياناً فكان هناك بالمجموع ثلاث أشكال زخرفية خلال المراحل الأولى للعصر الحجري الحديث الفخاري هي، الأسود المصقول الذي تركز في شمالي سورية بداية الأمر، لكنه انتشر ليصل أماكن أخرى خاصة في فترة العمق D، والفخار المدهون بأشكال زخرفية ذات خطوط أو مثلثات مرسومة بلون الأحمر أو البني، وقد شاع هذا في معظم مناطق بلاد سوريا الكبرى، أما الطراز الثالث، وهو المحزوز (خاصة على شكل عظام ظهر السمكة) فعثر عليه في جبيل، وامتد إلى فلسطين والأردن خاصة المناطق الشمالية منها، وحيث أنه يشابه فخار حسونة، فقد

[1] Avi Gopher: Op cit, p154.

عثر على ما يماثله في منطقة الجزيرة السورية، ولابد من ذكر أن كثيراً من الآنية الفخارية زخرفت بزخارف محزوزة ومدهونة في نفس الوقت[1] .

الشكل 19: يمثل جرار من الثقافة اليرموكية، ودمى طينية بقرية غرست في أجسادها نصلات.

المرجع ، خزعل الماجدي ،المرجع السابق ،ص43.

المطلب الأول: طبيعة المستقرات البشرية خلال هذا العصر

لقد اختلفت طبيعة المستقرات البشرية خلال الألف السابع قبل الميلاد في مساحاتها ومدة سكناها، ونقصد بهذا أنه ليس من الضرورة أن تكون جميع المواقع الأثرية المؤرخة لهذه الفترة عبارة عن قرى كبيرة المساحة بل على العكس، وقد عثر على أشكال متعددة من المواقع، مثل المخيمات والعزب الصغيرة، أما القرى الكبيرة، فسكنت في كثير من الحالات خلال العصر الحجري الحديث الفخاري وحسب، كما هو الحال في موقع القحوانة في فلسطين[2].

أما المنازل المؤرخة للعصر الحجري الحديث فقد اختلفت في طرازها ، وأشكالها، ومواد بنائها من مرحلة فخارية لأخرى، ومن منطقة لأخرى، فعلى سبيل المثال، بنى الناس في شمالي

[1] خالد محمود أبو غنيمة: (أضواء جديدة على تاريخ البحث الأثري لعصور ما قبل التاريخ في الأردن)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد5، العدد2،2011، ص 70.

[2] أحمد أمين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص 254.

سورية، وفي منطقة غور الأردن، مساكنهم من الطين أو اللبن فوق أساسات من الحجارة في بعض الأحيان[1]، بينما وجدنا سكان المرتفعات الجبلية، مثل موقعي غزال والذريح، قد بنو بيتهم من الحجارة، وتنوعت أشكال المباني بين القائم الزوايا، والمستدير، وذي الجدار المنحني، كما لوحظ في أريحا، مثلاً، أن الناس حفروا حفراً قليلة الغور، وبنو بيتهم بداخلها، فسميت (مساكن الحفر) مع نهاية الألف السابع قبل الميلاد عرف سكان شمالي بلاد سوريا الكبرى طرازاً جديداً من البيوت سمي (البيت المستدير)، حيث تكون البيت من غرفتين، الأولى مستديرة الشكل ومقبية السقف، ويصل قطر بعضها في بعض الأحيان إلى 6أو5 أمتار، وترتبط بها غرفة ثانية مستطيلة أو شبه منحرفة الشكل، تشكل مدخلاً إلى الغرفة المستديرة (الأولى)، ومن الجدير ذكره أن هذا الطراز من المباني شاع استخدامه خلال حضارة حلف ويجب التنبيه إلى أن طراز البيت المستدير لم يستأثر بالفترة كلها، إذ كشف عن مساكن أخرى معاصرة له، كانت ذات زوايا قائمة[2] .

المطلب الثاني: حضارة حلف

يقع تل حلف بالقرب من رأس العين عند منبع نهر الخابور على الحدود السورية التركية الحالية[3]، ويرتبط اسم هذا التل بموقع (جوزانا)، ونتيجة لتنقيبات الأثرية فيه استطاع المنقب التعرف إلى مرحلتين رئيسيتين، وظهر في المرحلة الأقدم نوعاً من الفخار الأول، وهو الأقدم ويعود لبداية الألف السادس قبل الميلاد وكان من النوع المسقول بألوان حمراء وداكنة، وبسيط الصنع. أما الثاني فيؤرخ في منتصف الألف السادس قبل الميلاد، ويعرف باسم(فخار حلف)، يمثل المرحلة المبكرة من العصر الحجري النحاسي في شمال بلاد الشام وبلاد الرافدين وهذا يمتاز بجودة الصنعة والزخارف المرسومة، بألوان متعددة[4] .

وقد قسم العلماء حضارة حلف إلى ثلاث مراحل:

[1] حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضاراته، بلاد ما بين النهري والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 136.

[2] رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ص136 . 147.

[3] أحمد داوود: المرجع السابق، ص 172.

[4] أحمد داوود ، نفسه ، ص173.

- **المبكرة:** وتشمل الفترة الأولى التي تأسست فيها حضارة حلف فشملت المنطقة الممتدة بين نهر الخابور شرقاً والبليخ غرباً .
- **الوسطى:** وهي الفترة التي شهدت امتداداً لحضارة حلف حتى وصلت إلى موقع رأس شمرا على سواحل البحر المتوسط.
- **المتأخرة:** وفيها شملت حضارة حلف كل المناطق المذكورة أعلاه، إضافة إلى أعالي الفرات وجبال بلاد الأناضول[1]

وعموماً جاءت المواقع الحلفية صغيرة المساحة (أقل من هكتار)، لم تسكن لفترات طويلة[2]، مارس الحلفيون عادات دفن مختلفة، منها وضع المتوفي في حفرة ممدداً أو بوضع قرفسائي .

ثم لوحظ في بعض الحالات فصل الجمجمة عن باقي الهيكل العظمي في مدافن الأشخاص البالغين، كما مارس الناس حرق عظام المتوفي، ووضع الرماد في جرار فخاري، وعثر المنقبون في المواقع الحلفية على عدد من القطع الأثرية المهمة المميزة، مثل الدمى الأنثوية المزخرفة بزخارف مدهونة والدلايات المصنوعة من الحجارة والأختام المبسطة والأدوات الصوانية المصنوعة من السياج .

بإضافة لزراعة الحبوب، زرع الناس البقوليات وإستخدموا في الري الزراعة، كما أكلوا ثمار الأشجار وربوا الأغنام، والأبقار، والخنازير، وإصطادو بعض الحيوانات البرية[3] .

المطلب الثالث: حضارة العبيد

تعد حضارة العبيد المؤرخة للفترة مابين حوالي 5500. 4500 ق.م مرحلة انتقالية بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة، خاصة في بلاد الشام وترتبط حضارة عبيد بنوع من الفخار أطلق عليه اسم (فخار العصر الحجري النحاسي المبكر)، بينما أسماه آخرون (فخار العبيد)

[1] Akkermans,P: Op cit, p119.

[2] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 152.

[3] جاك كوفان: ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، ص 127.

نسبة إلى موقع تل العبيد بجنوبي بلاد الرافدين وشمالي بلاد الشام، خاصة حوض الفرات الأوسط، وشمال غربي سورية، وجنوبي الأناضول وإذا كان بعض العلماء قد أرجع هذه الحضارة لمنتصف الألف السادس قبل الميلاد، إلا أن آخرين رأوا أنها تبدأ بحوالي 6200 وتنتهي بحوالي 3800[1] قبل الميلاد ومن المعروف أن منطقة جنوبي بلاد الرافدين شهدت الاستقرار فيها لأول مرة خلال هذه المرحلة[2].

وقسم العلماء مرحلة العبيد إلى أربع مراحل فرعية، يعود أقدمها لمطلع الألف السادس قبل الميلاد، وفيه سادت حضارة حلف بين شمالي الرافدين وبلاد الشام، ويسميها بعض العلماء حضارة (أريدوا) نسبة إلى الموقع القديم الذي عثر فيه لأول مرة على بقايا من هذه المرحلة، وهو أبو شهرين الحالي. كما أطلق على المرحلة الثانية اسم حضارة (حجي محمد)، وفيها انتشرت حضارة العبيد فوق منطقة أوسع من الأولى، فوصلت إلى بابل في الشمال، وسواحل الخليج العربي في الجنوب ،لكن هذه الحضارة أضحت أكثر اتساعاً وشمولاً خلال حضارة العبيد الثالثة و الرابعة، وأصبح هناك ما يعرف بالحضارة (العبيد الشمالية) و(العبيد الجنوبية)[3] .

وتطورت حضارة العبيد بشكل كبير خلال فتراتها الأخيرة، حيث بنيت المباني الضخمة مثل المعابد التي أنشأت على مساطب مرتفعة، كما أصبح الموقع منقسماً إلى قطاعين، الأول لعامة الناس، والثاني لبناء المباني العامة فيه[4]، كما اختلفت صناعة الآنية الفخارية بسبب اختراع دولاب، فأنتج الصانع الآنية الفخارية بكميات أكبر مما كان اكبر في السابق، لكنها جاءت متدنية الجودة. ولم تعد الأشكال المحفورة على الأختام تقتصر على الأشكال الهندسية، بل حفرت عليها أشكال حيوانية مختزلة[5].

إن حضارة العبيد لم تكن حضارة في بلاد الشام بذات القوة التي كانت عليها في بلاد الرافدين، بل يرى العلماء أن المرحلة المؤخرة لنهاية الألف السادسة والخامسة قبل الميلاد

[1] Redford : Op cit , p 20

[2] Akkermans,P: Op cit, p154.

[3] زيدان عبد الكافي كفافي ، نفسه ، ص 153.

[4] أحمد داوود: المرجع السابق، ص 173.

[5] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 153.

شهدت تراجعاً في هذه الحضارة. ولم يعثر على بقايا للعبيد إلا في منطقة المحدودة ومحصورة بجزء من منطقة شمالي سورية، كذلك ذكر أن عدداً من التحولات والمتغيرات حصلت في هذه المرحلة مثل ظهور أنواع جديدة من الفخار وطرز جديدة من المباني، وأن المواقع أصبحت أكثر مساحة وأكثر رسوخاً مما كان في حضارة حلف، وحاول الباحثون إرجاع هذه التحولات لأسباب عدة، منها التغيرات المناخية، والغزوات الخارجية، والجفاف، والقحط والأمراض .

عثر المنقبون في عدد من المواقع بشمالي سورية، مثل تل مفس وتل عقاب، على الفخار لهذه الحضارة (العبيد) جنباً إلى جنب في الطبقة ذاتها التي وجد فيها فخار حلف، كما كشفت الدراسات الميدانية الأثرية بشمالي سورية أن العبيديين مارسوا الزراعة البعلية، علماً أن أهل جنوبي الرافدين عرفوا الزراعة المروية[1] .

ويبدوا أن حضارة العبيد لم تحظى بنفس سعة الانتشار كما كان حال حلف، إن لم يعثر إلا على عدد قليل من المواقع خارج منطقة الجزيرة السورية، حيث عثر على بعضها على سواحل البحر المتوسط الشرقية، وحوض نهر العاصي، خاصة حول مدينة حماة، ومن أهم هذه المواقع،

تل كردو في سهل العمقE، وتل الكرخ في حوض الروج، وتل حمام التركمان على نهر البليج، وتل ليلان وتل براك في أعلي الجزيرة السورية، وقوزاق الشمالي، وتل العبر في حوض الفرات الأوسط، وتل زيادة وتل المشنق في حوض الخابور، أما في الأردن وفلسطين، فلا تتوفر لدينا حتى الآن أية معلومات حول أي مظهر من مظاهر هذه الحضارة، سوى العثور على عدد قليل جداً من الكسر الفخاري المزخرفة بشكل يشابه فخار العبيد، والتي عثر عليها في موقعي أبو حامد والكتارة السمرة في ضفة الشرقية لنهر الأردن وخلال حضارة العبيد، اختلفت المساكن في مساحتها، وفي عدد غرف المنزل الواحد منها، فثم مساكن تشكلت من غرفة واحدة، وأخرى

[1] جيمس ميلارت: المرجع السابق، ص 168 . 169.

من عدد من الغرف، كما أن بعضها تألف من ساحة بني حولها عدد من الغرف، وكلها مبنية إما من طين أو من لبن علماً أن بعضها بني فوق أساسات من الحجر[1] .

استخدم العبيديين أدوات متعددة لاءمت احتياجاتهم لتحضير وجبتهم الغذائية، وصنع أدواتهم، وتركزت هذه بشكل خاص حول صناعة الأدوات الصوانية، وحجارة الطحن والجرش، والآنية الفخارية، علماً أن رؤوس السهام الصوانية اختلفت خلال الألف السادس قبل الميلاد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن صيد الحيوانات بقي شائعاً وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن الناس استخدموا طرقاً ووسائل أخرى لصيد، ومن الجدير بذكر أن المنقبين عثروا على بعض الأدوات المصنوعة من خامات النحاس، والتي تؤرخ لحضارة العبيد ويعتقد المختصون بدراسة المعادن أن الناس ربما جلبوا خامات النحاس إما من جبال الأمانوس، أو من جبال طوروس[2] .

دفن الناس خلال حضارة العبيد موتاهم خارج المناطق السكنية في مدافن محددة لديهم، وعثر على بعض القبور في خرائب مهجورة كما عثر المنقبون على قبور تحت أرضيات البيوت، لكنهم لم يتمكنوا من تحديد فيما إذا كان الدفن جرى خلال فترة سكن البيت أما بعد هجره، وقد وجدت بعض المرفقات الجنائزية مدفونة مع الشخص المتوفي، مثل الآنية الفخارية، والحلي، وبعض الأدوات الصوانية[3].

[1] جيمس ميلارت ،نفسه ، ص170.

[2] زيدان عبد الكافي: المرجع السابق، ص 154.

[3] جاك كوفان: المرجع السابق، ص 125.

الفصل الرابع: سوريا الكبرى في العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت)

المبحث الأول: الحضارة الغسولية

المبحث الثاني: حضارة بئر سبع

تمهيد:

يعتبر العصر الحجري النحاسي خاتمة العصور الحجرية من جهة، وفاتحة العصور المعدنية من جهة أخرى، وقد سبقته ثلاث عصور حجرية هي (الباليوليت والميزوليت والنيوليت) أتت بعدها ثلاثة عصور معدنية هي (نحاسية والبرنزية والحديدية).

ومثلما اكتشف الإنسان الزراعة في النيوليت، فإنه اكتشف المعدن في الكالكوليت. وكان أول المعادن المستخدمة هو النحاس، ولم يأتي هذا الحدث وحيداً فقد حمل منظومة كاملة من المنجزات الجديدة التي كان أغلبها يتعارض مع المنظومة النيوليتية رغم أنه يعد امتداداً نوعياً لها[1]، والذي حدث بالتدريج خلال الألف الرابع قبل الميلاد، استمراراً حتى ظهور الكتابة أي في حوالي (3200ق.م)، وكما يدل اسمه فإن تصنيع النحاس واستعماله في أدوات عمل الإنسان وزينته، أصبحا رائجين، إلى جانب استمرار شيوع الأدوات الصوانية والفخارية والعظمية. ويكتسب هذا العصر، على قصر فترته الزمنية نسبياً، أهمية خاصة نظراً إلى الإنجازات الاقتصادية والاجتماعية التي حققها إنسان النيوليت في مراحله الأخيرة، قبل الانتقال إلى عصر المعدن وذلك في فلسطين، كما في الشرق الأدنى القديم كله[2] .

و إذا كان موقع (تليلات الغسول) في الأردن في شمال شرق البحر الميت يمثل هذا العصر بشكل نموذجي. فإن موقعي تل الفارعة (قرب نابلس) وبئر سبع يمثلان هذا العصر في فلسطين بشكل نموذجي وذلك لقربهما من وادي عربة حيث مناجم النحاس وقد اختلف العلماء في كيفية توصل الإنسان إلى هذا المعدن، وهل كان ذلك بمحض المصادفة أثناء عملية صنع الفخار[3]، حيث أنه من الجائز تواجد بعض ذرات نحاسية مختلطة بالطين تظهر أثناء الحرق، أما أن ذلك قد تم بعد البحث والتنقيب والتوصل إلى اكتشاف هذا المعدن وهناك مشكلة أخرى، وهي أن كمية الآثار النحاسية قليلة في مواقع تلك المرحلة، مما أدى إلى احتمالية الاعتقاد بأنها

[1] خزعل الماجدي:المرجع السابق، ص 51.

[2] Margreetl, Steiner. Anne Killebrew, the Archaeolgy of the le vante 8000– 332 BCE, Oxford University press, Impression1, 2013, p253.

[3] إبراهيم معاوية: المرجع السابق، ص 55.

مستوردة وغير مصنوعة محلية في كل من مصر والعراق. ولكن قلة الآثار النحاسية لا يمكن اعتبارها عملاً رئيسياً في تفسير عدم توصل الإنسان إلى اكتشافها محلياً بتصنيعها في هاتين المنطقتين فلا شك أن هذه المادة كانت جديدة في استخدامها، وعلى ذلك كانت آثارها محدودة نسبياً هذا بالإضافة إلى الجهود المضنية في عملية تصنيعها وتشكيلها، ويتجه فليب حتى إلى الاعتقاد بأن معرفة النحاس قد انتشرت من سورية إلى جميع الجهات، وتدل آثار الإنسان في هذه المنطقة أنه استخدم النحاس أولاً ثم مزجه بالبرونز لأجل صناعة الأسلحة الحربية قبل أن يستخدمه لأدوات السلم، وقد تمتعت القبائل والجماعات التي جعلت سلاحها من هذا المعدن الصلب قابل لطرق والالتواء بتفوق عظيم على تلك التي استعملت الحجارة، واستخدم المعدن أيضاً في الأغراض السلمية فتحسن فن العمارة بشكل كبير[1] .

ويمكن تقسيم عصر الحجر والنحاس في فلسطين إلى ثلاث مراحل حضارية متصلة، تتمثل أولها في كل من الطبقة الثامنة من تل جريكو، وأيضاً في حضارة وادي غزة، وتتمثل الحضارة الثانية في الحضارة الغسولية التي تقع في سهل الأردن شمال شرق البحر الميت كما سبق ذكره في المرحلة الأخيرة تتمثل في حضارة بئر سبع، وتمتد تلك الحضارات زمنياً من نهاية العصر الحجري الحديث حتى أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، وعلى ذلك فهي تتداخل مع عصور ما قبل الأسرات في كل من مصر والعراق. وقد تطورت الحياة بكافة مظاهرها في ذلك العصر في فلسطين وذلك بعد التوصل إلى استخدام معدن النحاس[2].

[1] فليب حتى: المرجع السابق، ص 25.

[2] أحمد أمين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 263.

المبحث الأول: الحضارة الغسولية

المطلب الأول: الحياة الزراعية

وفي هذه الأثناء ازداد الاهتمام بالزراعة وتربية المواشي واتسع استخدام الثور والغنم والماعز التي بدأ تدجينها في العصر الحجري الحديث كما يتضح من ظهورها المتكرر على التماثيل الصغيرة من الطين، وهنالك أشكال حيوانية داجنة أخرى كانت شائعة وتمثل خنازير وحمام، وتفيدنا الدلائل التي أتت في فترة تالية أن الحمامة كانت مقرونة بالإلهة الأم وهي الآلهة التي تمثل مبدأ الحياة الخصبة، وكانت تقع جميع مراكز السكنى تقريباً في العصر النحاسي الحجري في أودية الأنهار أو السهول وكانت تعتمد على الري، وهكذا فإن العمل البارز في هذه الفترة في ميدان الزراعة هو الزراعة المعتمدة على الري وتشمل زراعة أنواع متعددة من الخضار كالخس والبصل والثوم والحمص والفول والتوابل، وينعكس هذا الازدياد في تنوع الغذاء المتوفر وكميته في ارتفاع وسطي القامة البشرية ارتفاعاً ملموساً في أواخر العصر النحاسي الحجري[1].

ورغم أن الحضارة الغسولية كانت تعتمد بشكل رئيسي على الزراعة إلا أنه عثر على كميات ضئيلة من السهام مما يرجح أن بعض السكان قد مارسوا الصيد بجوار الزراعة. ولقد كشف عن مواقع تحوي غلالاً وكذلك على أواني بها زيوت[2].

المطلب الثاني: فن العمارة

وفيما يتصل بفن العمارة، فيلاحظ أن عمارة المنازل تتعدد في تخطيطها، كما أنها أحجامها كانت متوسطة، وكان أحد الجوانب الكبرى للبيوت المستطيلة كثيراً ما يقابل صالة فسيحة وشيدت الجدران من اللبن فوق أساسات من الحجر الغشيم، وصنعت الأسقف من القصب المغطى بالطين، وزخرفت الجدران الطينية برسوم ملونة، مثل نجمة ذات ثلاث أضلاع

[1] أحمد أمين سليم: نفسه ، ص 264.

[2] De Vaux, R: Palestine the Neolithie and chaleolithic pcriods, Vol 1, compridge At the University press, London, 1966, p523.

تحيط بها رسوم ورموز غير عادية(الشكل20)[1] ولم تحدد القرية بتحصينات في شكل أسوار حولها،

الشكل20: جدارية تعود لنصف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد، تليلات الغسول/الأردن.

الشكل 21: بيت من العصر الحجري النحاسي، الجولان / سورية

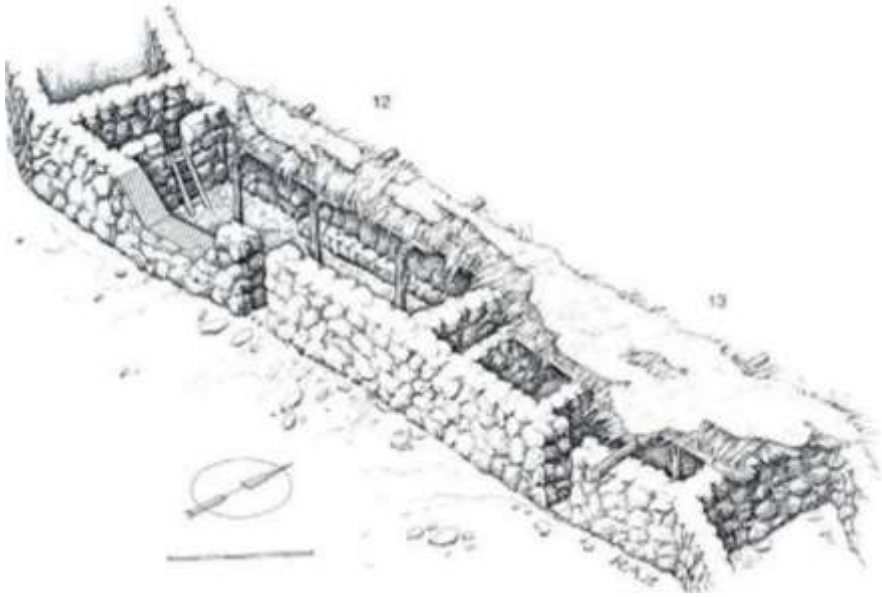

المرجع، أحمد أمين سليم ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ص 264.

[1] رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص 175.

كما يلاحظ في مرحلة العصر الحجري الحديث في جريكو.وقد توفرت لدى القرى ملتزمات الحياة المستقرة كمخازن الغلال والأجران والمواقد والأواني الحجرية و الأدوات النحاسية وتنفرد الحضارة الغسولية، بظاهرة استخدام بعض الأواني الفخارية التي تتخذ شكل منازل لها أسقافها دائرية وذلك لحفظ عظام الموتى، وقد دفن الأطفال في أواني فخارية تحت أرضية المنازل، ولم يقصر على ذلك، بل كانت هناك أيضاً المقابر المغطاة بكتل حجرية[1] .

المطلب الثالث: الدين والفنون

ومن أهم الآثار الدينية في هذه الحضارة، العثور على معبد كبير ينتمي إليها، وهو يتكون من ساحة تحيط بها المباني الرئيسية الخاصة به، ففي الجهة الشمالية يوجد المبنى الرئيسي وفي الجهة الجنوبية يوجد المدخل في مواجهة البئر، هذا بالإضافة إلى مدخل آخر في الجهة الشرقية، ويوجد حائط حجري يربط بين تلك المباني. ويبلغ طول هذا المعبد عشرين متراً، ويلاحظ وجود مذبح في مواجهة المدخل، حيث عثر على بقايا عظام حيوانية و شقف فخارية ومما هو جدير بالذكر أنه توجد بعض أوجه الشبه بين التخطيط المعماري لهذا المعبد الذي عثر عليه في تل الغسول، وبين معبد مجدو[2] .

ولقد تقدم الفن وخاصة الفن التشكيلي تقدماً محسوساً بعد ظهور المعدن، وتكثر الأختام والحلي والأواني النحاسية الآتية من هذا العصر، وتحسن الصفة الفنية لهذه المنتوجات وأشباهها، وأخذ الناس يُعنون بصورة جدية بفن النحت الذي كان أول ظهوره في العصر الحجري الوسيط كما رأينا، وقد اكتشفت رسوم بشرية وحيوانية على حجارة مرصوفة في طبقات العصر النحاسي الحجري الأخيرة في مجدوا، وتمثل الرسوم الجدارية المعاصرة من تليلات الغسول الموجودة على الجدران الداخلية المبيضة المبنية من اللبن أشكالاً بشرية أو إلهية بألوان متعددة، وكانت تلك أول محاولة معروفة لزخرفة القسم الداخلي من المنزل، غير أن الزخارف على الخزف هي التي ضلت تتيح للفنان أحسن الفرص لممارسة فنه وفي نهاية الألف الرابع

[1] رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص 176.

[2] نفسه، ص 177.

الشكل22: تمثل قوالب لصب النحاس، في موقع حجيرة الغزلان/جنوبي الأردن، ومعظمة صلصالية من يازور/فلسطين.

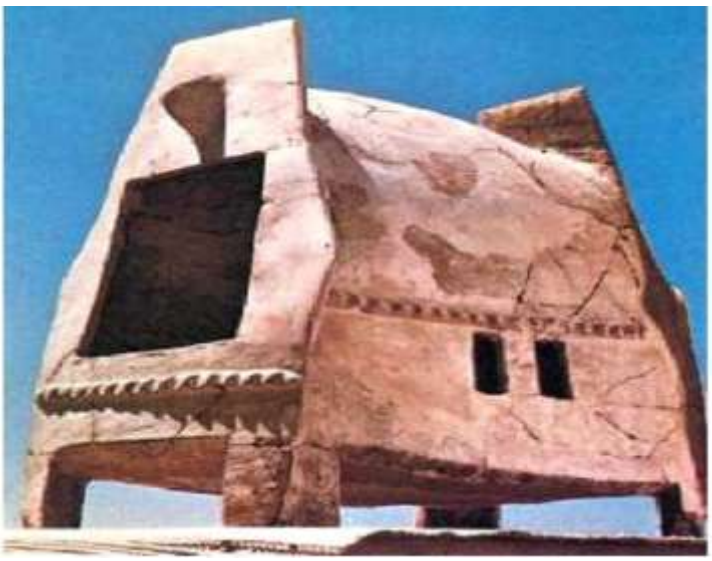

المرجع ، زيدان عبد الكافي كفافي ، المرجع السابق ،ص166 -168.

كان فن الطلاء الزجاجي قد وصل كريت في بدء العصر المينوسي ومصر في أول عصر السلالات من شمالي سورية[1] .

وتبدوا الأواني المزخرفة بطلاء زجاجي حسب تقاليد سورية الشمالية كمواد مستوردة في قبور الفراعنة الأولين في أبيدوس، وقد أتت من تل الجديدة في شمالي سورية مجموعة مختزنة من التماثيل النحاسية الصغيرة المصبوبة وبينها إله وإلهة الخصب يعتقد أنها أول تمثال معروف للشكل البشري بواسطة المعدن[2] .

[1] رشيد الناضوري: المرجع نفسه ،ص177.

[2] رمضان عبدة: المرجع السابق، ص 228.

المبحث الثاني: حضارة بئر سبع

المطلب الأول: الزراعة

أما عن حضارة بئر السبع فقد جمعت بين الرعي والزراعة، وقد عثر على كافة الأدلة الأثرية المتصلة بالحياة الزراعية كالأجران والمناجل والمخازن فلقد كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسة للسكان، وتوضح الأدلة الأثرية أنهم قد زرعوا القمح والشعير، كما استأنسوا الأغنام والماعز والماشية، ووجدت الكلاب لتقوم بحراسة قطعان مواشيهم[1] .

المطلب الثاني: الصناعة

ولقد ازدهرت العديد من الصناعات في المواقع المنتمية إلى حضارة بئر السبع، ويلاحظ وجود نوع من التخصص في صناعات كل موقع، فلقد إهتم موقع صفادي بالصناعات المتصلة بالعاج والعظام، بينما اهتم موقع أبو مطر بالصناعات المعدنية. وبرع إنسان حضارة بئر السبع كذلك في الصناعات الحجرية، ولقد استخدم العديد من الأحجار مثل البازلت والتركواز .

كذلك عثر في منطقة بئر السبع على بعض من اللقى المشابهة لتلك من وادي محرص، وقد ذكر المختصون أن تلك الأدوات صنعت بطريقتين، الأولى وهي الأبسط، وبها يصب النحاس بعد صهره في قالب مفتوح، ثم تطرق القطعة النحاسية بعد ذلك على سندان لتأخذ شكلها النهائي، فتستخدم فأساً أو قدوماً أو مخرزاً، أما الطريقة الثانية، وهي الأكثر تطوراً، وتسمى LOST.WaX، فتتطلب استخدام نوع من النحاس Arsenical.Copper يصب في قالب. وهذه الطريقة تنتج أدوات أو قطع (مثل التاج والصولجانات التي عثر عليها في تل محرص) ذات صلابة وقوة أكثر من الأدوات العادية[2]

المطلب الثالث: المسكن

أما بالنسبة للمنازل فقد كانت أشبه بالكهوف، فهي عبارة عن حجرات سفلية مستديرة أو بيضوية يصل إليها السكان بواسطة درج يؤدي إليها أو أنفاق أو آبار رأسية. وتؤدي تلك

---

[1] De Vaux, R: Op cit, p523- 526.

[2] إبراهيم معاوية: المرجع السابق، ص 55.

المداخل إلى ممرات أفقية تتفرع بدورها إلى حجرات، وقد إتجه بعض العلماء إلى محاولة إيجاد ترابط حضاري بين الحضارة الغسولية وحضارة بئر السبع، وهناك من الأدلة الأثرية ما يؤيد هذا الاتجاه[1] .

المطلب الرابع: الفنون

وقد تقدم الفن، وبخاصة الفن التشكيلي تقدماً ملموساً بعد ظهور المعدن. فكثرت الأختام والحلي والأواني النحاسية، وتحسنت التقنية الفنية لهذه المنتجات. واهتم الناس بفن النحت، الذي كان أول ظهوره في العصر الحجري الوسيط، كما سبقت الإشارة إلى ذلك وقد اكتشفت رسوم بشرية وحيوانية مصقولة في طبقات العصر الحجري النحاسي الأخيرة في مجدو.

وتمثل الرسوم الجدارية المعاصرة في تليلات الغسول الموجودة على الجدران الداخلية أشكالاً بشرية بألوان متعددة. وكانت تلك أول محاولة معروفة لزخرفة القسم الداخلي من المنزل، غير أن الرسوم على الفخار ظلت تتيح للفنان أحسن الفرص لممارسة فنه. وفي نهاية الألف الرابع توصل إلى فن الطلاء بالميناء. وامتدت حضارة بئر سبع من كل منطقة شمال النقب[2] .

وقد أدى نمو صنع المعادن والفخار الذي يتصف به هذا العصر، إلى ظهور حرف مختلفة وزيادة في العلاقات التجارية بين القرى والمدن، ونتج عن ذلك اختصاص أكثر في العمل، وازدهرت مدن في السهول والأودية وفي أماكن لم تكن مأهولة بالسكان حتى ذلك الوقت. وبدأت التجارة تتخذ شكلاً دولياً، وكان توسع الاتصالات التجارية والثقافية بين منطقة سورية من جهة ومصر وبلاد بابل من جهة أخرى عاملاً أساسياً في حياة هذه البلاد في العصور التالية وقد نشطت الحياة في جميع مظاهرها في الشرق الأدنى نشاطاً عظيماً كما نشطت في العصور الحديثة بعد اكتشاف البخار والقوة الكهربائية[3].

[1] إبراهيم معاوية: المرجع نفسه ،ص 56.

[2] أحمد أمين: المرجع السابق، ص 266.

[3] إبراهيم معاوية: المرجع نفسه، ص 56.

الخاتمة

الخاتمة:

ومن خلال هذا البحث نتحصل على جملة من الاستنتاجات هي:

تقسم العصور الحجرية في بلاد سوريا الكبرى إلى عدة أقسام مختلفة لها ميزاتها وعناصرها وسماتها الأساسية وهي كالآتي:

العصر الحجري القديم (الباليوليت) وهو أقدم العصور الحجرية وأطولها مدة، وقد بدأ في إفريقيا منذ حوالي 5.2 مليون سنة وانتهى في حوالي 12ألف سنة ق.م، عاش الإنسان منتقلاً خلف الصيد والالتقاط، ونظراً لزمنه الطويل وللسمات المميزة لكل مرحلة فقد قسمه الباحثون إلى عدة عصور وهي الباليوليت الأدنى ثم يليه الأوسط وبعده الأعلى.

العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) وهو عصر له سماته وخصائصه حيث أنه عصر انتقالي بين الباليوليت الذي سبقه والنيوليت الذي يليه العصر الحجري الحديث (النيوليت) وقد بدأ تقريباً منذ حوالي 8000 سنة ق.م، وهو عصر الاستقرار والزراعة وتدجين الحيوانات.

العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) ويمثل هذا العصر المرحلة الانتقالية بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية القديمة، ويسمى أيضاً عصر ما قبل الكتابة أو ما قبل العمران ويمتد بين حوالي 3000.4000 ق.م

إن تاريخ عصور ما قبل التاريخ يختلف بين منطقة وأخرى من العالم، ذلك لأن العصور الحجرية ابتدأت وانتهت في أوقات مختلفة و متفاوتة بين منطقة وأخرى، فما نسميه في بلاد سوريا بالعصور التاريخية التي تلي عصور ما قبل التاريخ، هي في أوروبا عصور حجرية.

إن الأعمال الفنية لفان لير وديز موند كلارك كشفت على أن موقع (اللطامنة) والواقعة على مسافة أربعين كيلو متراً شمالي مدينة حماه– المجرى الأوسط لنهر العاصي– يشكل أحد معسكرات الصيادين الأوائل الهامة في الهواء الطلق، وقد بقي على حالته التي ترك عليها منذ نصف مليون سنة تقريباً، وهو واحد من أربعة مواقع بقيت سليمة من ذلك الدور في العالم

كما عثر في هذا الموقع على فؤوس حجرية وأدوات أخرى وبقايا حيوانية من العصر البليستوسيني، كما تم اكتشاف بقايا حيوانية تعود إلى العصر الجليدي، ويشير علماء الآثار إلى

أن هذه المجموعات الأثرية المكتشفة تشكل أكبر مجموعة ظهرت حتى الآن، وقد تم التأكد من تاريخها بشكل دقيق بواسطة البقايا الحيوانية والمستحثات المرفقة لها في عصر مندل

وتعتبر مكتشفات (يبرود) قرب دمشق من أقدم ما عرف من الصناعات الحجرية لدى إنسان الملاجئ والكهوف في الشرق الأوسط، وتوجد مكتشفات من مغاور يبرود تمثل شواهد على وجود الإنسان وتنوع حضاراته التي ترقى بتاريخها إلى 200ألف سنة

وفي تل الرماد– قرب قطنة– اكتشفت لقى وأدوات عديدة تعود إلى فترات مبكرة من التاريخ، وقد تمكن علماء الآثار والتاريخ القديم من تأريخها بواسطة مادة البوتاسيوم في الاجسام العضوية، وثبت من خلال النتائج أنها تعود إلى فترة زمنية تقدر بـ6250 سنة قبل الميلاد، كما تمكن العلماء من التعرف على أنواع عديدة لحبوب مختلفة كان الإنسان يستعملها في حياته كقشور الشعير والحنطة والعدس، وقد دلت المعلومات المستقاة من التنقيبات الأثرية أن إنسان تل الرماد قد اعتمد في حياته منذ البداية على الزراعة.

وفي تل بقرص الواقعة في منطقة الخابور اكتشف فان لير معطيات أثرية تعود إلى الألف السابع ق.م، كما اكتشف فان لوون مواقع سكنية هامة عرف من خلالها طريقة البناء المتفردة التي اعتمدها الأهالي في بناء منازلهم، وهذا الموقع يعتبر من المواقع الأولى المهمة في العالم القديم التي عرفت أو أجادت استخدام الجص في البناء، وهو أيضاً من المواقع الأولى في العالم التي عرفت زراعة الشعير والدخن كما عرفت تربية الأغنام والماعز

وفي جرفة العجلة والكوم . قرب تدمر. اكتشفت في الكهوف العديد من الأدوات الصوانية التي استخدمها الإنسان في حياته العامة وقدرت بـ (60 ألف قطعة) وتمثل هذه الأدوات مرحلة تحول هامة من حضارة الصوان الخشن إلى الصوان الشظوف

وفي تل المريبط (الواقعة على الفرات) ضم هذا التل العديد من القطع الصوانية والكسر الفخارية التي تدل على بقايا استطان بشري قوامه الرماد وشظايا العظام والمحار والفحم الخشبي والحصى المحترقة، كما اكتشفت في تل المريبط العديد من النصال المشرشرة ورحى وأشجار

لجرش وسحق الحبوب تمثل نماذج فريدة للصناعة الحجرية المحلية التي تعود إلى الألف الثامن ق.م .

كما نستنتج كذلك في الجانب الديني ، ظهور عبادة الآلهة المرأة في وادي الفرات السوري مما يؤكد على أن هذه المنطقة قد لعبت دورا أساسيا في نشوء ديانات العصر الحجري الحديث.

ومن جهة أخرى فإن من بين كل التحولات التي عرفت الثورة الزراعة فإن التحولات الدينية هي التي سبقت وأعلنت عن التحولات الأخرى، وإن التغيرات الفكرية والمعتقدات هي التي فتحت الطريق أمام الانقلابات التي بدلت بشكل عميق شروط الحياة المادية .

ولقد كان العصر الذي أمتد ، في الشرق الأدنى بين الألف التاسع والسابع ق.م مصيرياً لمستقبل الحضارة ؛ فالتحول الحضاري الذي أدى إلى انتقال البشرية من مرحلة الصيد والالتقاط ،في العصر الحجري القديم ، إلى مرحلة الزراعة والتدجين ، قد حصل في تلك المنطقة قبل أي مكان آخر في العالم .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ . بالغة العربية

1. أحمد علي عبد اللطيف، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، طبعت بكتب كزيدية أخوان بيروت، 1971م.
2. أور فرنسيس ، حضارات العصر الحجري القديم،تع: سلطان محيسن، مكتبة الإسكندرية، ط2، دمشق، 1995م.
3. إيان تايتر سول، العالم من البدايات حتى 4000، تر، حازم نهار، ط1،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي ، 2011.
4. باقر طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة فارس الإغريق الرومان ...)، ج2، دار الوراق لنشر المحدودة، ط1، بغداد، 2001م.
5. البهنسي عفيف ، الشام الحضارة، وزارة الثقافة،ط1، دمشق،1986م.
6. تسونيكي أكيرا، أهمية الآثار السورية في تاريخ العالم، سورية في عصور ما قبل التاريخ، تر: ساري جمو، شركة مايدا لطباعة المحدودة، اليابان، 2018م.
7. جراية محمد رشدي: الصحراء خلال العصر الحجري الحديث 6100 ق.م-1000ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم ، إشراف ، عبد العزيز بن لحرش ، جامعة قسنطينة ،2007 -2008م.
8. جود الله فاطمة: سوريانبع الحضارة ، تاريخ وجغرافيا أهم الآثار في سوريا ،دار الحصاد، ط1 ، سورية ، دمشق ، 1999م.
9. حتى فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج2، تر: جورج حداد وعبد الكريم رفيق، دار الثقافة، بيروت، 1982م.

10. حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضاراته،(بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية)، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية،19797م.
11. داوود أحمد، تاريخ سوريا القديم، منشورات دار الصفدي، ط3، دمشق، 1424هـ . 2003م.
12. الدباغ تقي ، الوطن العربي في العصور الحجرية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1988م.
13. الدباغ مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين،ج1، دار الهدى، بيروت، 1999م.
14. الذنون عبد الحكيم ، تاريخ الشام القديم، دار الشام القديمة،ط1، سوريا، 1999م.
15. رمضان عبدة علي، الشرق الأدنى القديم و حضاراته، منذ فجر التاريخ وحتى مجيئ حملة الإسكندر الأكبر، ج2،(الأناضول وبلاد الشام)، دار نهضة الشرق، ط1، القاهرة، 2002م.
16. سليم أحمد أمين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (مصر،سوريا القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.
17. سليم أحمد أمين، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، كلية الأدب، 2000م.
18. السيد غلاب ويسرى، الجغرافيا التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1975 م.
19. سيريل ألريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ط1، تر، مختار السويقي، الدار اللبنانية، القاهرة، 1989 .
20. شعث شوقي، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ج4، مركز الآثار والتراث الفلسطيني، ط1، دمشق، 2001 .

21. شوقي إلياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي،(منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)،مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، لبنان، 1996م.

22. كفافي زيدان عبد الكافي ، بلاد الشام في العصور القديمة من عصور ما قبل التاريخ حتى الإسكندر المقدوني، دار الشروق، الأردن، 2011م.

23. عصفور محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقد العصور حتى مجيئ الإسكندر، مطبعة المصرى، 1967م.

24. عميري إبراهيم، المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق،2012م.

25. فخري أحمد ، دراسات في تاريخ الشرق القديم،مكتبة الأنجلو المصرية،ط2، مصر، 1980م.

26. فرح نعيم، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، (السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي)، دار الفكر، 1972م.

27. كوفان جاك ، الألوهية والزراعة، ثورة الرموز في العصر النيوليتي، تر: موسى ديب الخوري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999م.

28. جاك كوفان، ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، تر: سلطان محيسن، دار دمشق، ط1،1988م.

29. كول سونيا، ثورة العصر الحجري الحديث، تر:تقي الدباغ وسعد الدبوني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة بغداد، كلية الأدب، ط3، 1988م.

30. الماجدي خزعل ، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الإحتلال الروماني، دار غيداء، ط2، عمان، 1438هـ.

31. ميلارت جيمس ، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، تر: محمد الطيب، دار دمشق، ط1، 1990م.

32. ميحائيل نجيب ، مصر والشرق الأدنى القديم، ج3، سورية، القاهرة، 1994م.
33. الناضوري رشيد ، المدخل في التحليل الموضعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، دار مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 2002م.

ب . بالغة الأجنبية

1. Akkermans,P.M.M.G. and,Schwartz,G.M, The Archaeology of syria, from complex hunter- Gatherers to early urban societies, World Archaeology Cambridge: University pres,2003.
2. Avi Gopher, Arrowheads of the Neolithie levant, eisenbrauns winona lake, Indiana, 1994.
3. Daniel potts, A companion to the Archaeology ot the Ancient neareast, Volume1, edited by D.T.Botts, wiley- blackwell, 2012.
4. De Vaux.R, Palestine the Neolithie and chaleolitihic pcriods, Vol1, campridge at the university press, London, 1966.
5. I.E.S. Edwards thelate.C.J.Gadd,N.G.L.Hammond, the Cambridge ancient history, parti1, Prolegomena And Prehistory, volume1,University press, 2000.
6. Margreetl, Steiner. Anne Killebrew, the Archaeolgy of the le vante 8000- 332 BCE, Oxford University press, Impression1, 2013.
7. Mcneill,William,H. Therise of the west, chicago, london, 1963.
8. Miriam C. Davis: Dame Kathieen Kenyon, Digging Up the Holy Land, left coast prees, California, 2008.

9. Perves Maurice, La Prehistoire de la syrie et du liban in, Syria tome 25 fascicule 1. 1946.
10. Pliny, Natural History, Book V,CH,17
11. S.Muhesen, Bilan sur La brehistoire De La syrie In;syria.tome 69 fascicule 3-4 1992.
12. Semple, E.C, The Geography of the Mediterranan Region, London, 1932.
13. Takeru Akazawa, Kenichi Aoki, and Ofer Bar yosef, neandertals and modern humans in western Asia, Kluwer Academic publ ishers, Newyork, London, 2002.
14. Weippert, Helga, Palastina in vorhllenistischer zeit, C.H.Beck'sche verlagsbv chhandlung, Munchen, 1988.
15. Redford , Donald .B: Egypt , Canaan and Israel in Ancient Times, Princeton(N.J), 1992 .

ج . الرسائل الجامعي

1. أحمد يوسف دياب، (آسيا الغربية في العصر الحجري القديم، دراسة متخصصة في الأدوات الحجرية)،رسالة دكتوراه، قسم الآثار، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1426هـ/2005م.

د . المجلات

1. أحمد دياب، (دراسة الأدوات الحجرية لموقع عصور ما قبل التاريخ في درعا وجنوب سوريا)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 115-116، قسم الآثار، جامعة دمشق، كانون الأول 2011م.
2. أمل القاسم، (موقع جديد لعصور ما قبل التاريخ جنوب سورية)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد9، العدد1، 2015م.

3. خالد محمود أبو غنيم، (أضواء جديدة على تاريخ البحث الأثري لعصور ما قبل التاريخ في الأردن)،المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، العدد2، المجلد5، 2011م.

هـ . الموسوعات

1. إبراهيم معاوية، (فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد)،الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، 1990م.

و. المواقع الإلكترونية

1. **http://www. Messagetoeagle.com/neolithicmaskspalestin. Php.#**
2. **VqjHi_nhC70.**
3. **http://www. Crystalinks. Com/jericho.html.**
4. **https://en. Wikipedia. Org/wiki/yarmukian_culture.**
5. **https://www. Archeolog-home. Com/pages/content/carmel-cavesisrael-prehistoric-men-held-wakes-for-thedead. Html**
6. **wkipedia. Org/wiki/Natufian_culture.**
7. **http://www. Aggsbach. De/2010/08/after-the-big-cold-kebaran-fromkebara-cave. /**
8. **http://antiquiy. ac .uk/projgallmarder337. /**
9. **http://popular-archaeology**
10. **http://www. Jpost. Com/Arts-and-Culture/Arts/ Unmasking - themasks-344937 .**

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير	-
اهداء	-
مقدمة	أ-د
الفصل التمهيدي: أرض سوريا الكبرى	
المبحث الأول: جغرافيا بلاد سوريا الكبرى	2
المبحث الثاني: البيئة والمناخ في بلاد سوريا الكبرى	8
الفصل الأول: سوريا الكبرى في العصر الحجري القديم(الباليوليت) palaeolitic	
المبحث الأول: العصر الحجري القديم الأسفل	12
المبحث الثاني: العصر الحجري القديم الأوسط	19
المبحث الثالث: العصر الحجري القديم الأعلى	24
الفصل الثاني: سوريا الكبرى في العصر الحجري الوسيط (الميزوليت)	
المبحث الأول: الحضارة الكبارية	32
المبحث الثاني: الحضارة الناطوفية	38
الفصل الثالث: سوريا الكبرى في العصر الحجري الحديث (النيوليتي)	
المبحث الأول: العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري	47
المبحث الثاني: العصر الحجري الحديث الفخاري	54
الفصل الرابع: سوريا الكبرى في العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت)	
المبحث الأول: الحضارة الغسولية	64
المبحث الثاني: حضارة بئر سبع	68
الخاتمة	71
الملاحق	-
المراجع	-